

مجلة المجمع العلمي العربي

١ تشرين الأول سنة ١٩٥٢

١٢ المحرم سنة ١٣٧٢

احمد فتحي زغلول

(١٣٣٢ هـ)

ولد في ايبان من عمل الفريية في مصر وأخذ التعليم الابتدائي والثانوي من مدارس مصر والاسكندرية . كان الاسم الذي اختاره له أبوه « فتح الله صبري » فلما رأى ناظر المعارف ما كان يتجلى فيه . من النبوغ سماه باسمه « احمد » واختار له من الألقاب « فتحي » فكان احمد فتحي زغلول ، وزغلول اسم أسرته . ثم أوفدته المعارف الى أوروبا فحذق علم الحقوق في باريس وتمكن من الآداب الفرنسية وجاء مصر فتولى وظائف كبيرة حتى بلغ منصب وكيل وزارة العدل وعني بما طلب منه وضعه من اللوائح والقوانين وهو الذي وضع لأئحة اصلاح الأزهر ولأئحة اصلاح المحاكم الشرعية . وكان أترابه يشهدون بتفوقه عليهم في هذا المعنى .

قال فيه عبد الخالق ثروت من علماء مصر وقضااتها انه « نبغ في المعقول والمنقول ومعه الأدب الجم تزينه البلاغة ويزنه المنطق الصحيح الى العلم الفزير »

— ٤٨١ —

وثبتته الحكمة ، وتؤيده قوة المعارضة الى صفات نادرة في تصريف الأمور ، وكان كاتباً مبدعاً وخطيباً مفوهاً ، وذا ذوق سليم فيما لم يمانه من الفنون وعلى جانب من دماثة الأخلاق والتواضع والبعد عن الدعوى يجمع الى هذا كله « شفقاً غريباً بحسن التنسيق والتنظيم » و « ان جهاده في عام واحد من أعوام حياته يقصر دونه جهاد رجال في أعوام ، ولم يقصر همته على أعمالها الكثيرة العظيمة بل كنت تجده عاملاً في كل شأن من الشؤون العامة » « حياة كلها جهاد وعمل لم يوت فيها عقله وجسمه قسطهما من الراحة ، مدفوعاً الى ذلك بعوامل فطرية ، مغالباً نواميل الطبيعة » .

كانت رجل عمل بدعو الى تحييه الى الناس وتعليمهم طريقته الرشيدة ولم يكن رجل ثورة لأنه يكره الثورات ويمتقد مضرتها ، وعنده أن القانون الحسن ما احتمله الأمة ونفذته راضية به مستعدة له ، ويرى أن خير التعاليم السياسية والاجتماعية ما لا يأم طبايع الأمة وكانت فيها قوة على خصمها وجبر مواطن النقص فيها .

« شهد له كل ذي علم وفهم في مصر بأنه بذاً الأقران لم يجمع مالا ولم يتأثر عقاراً ، ولم يترك درهماً ولا ديناراً » ، وقالوا في صفاته الشخصية انه كان حسن العشرة حلوا المفاكهة ، نزيه النفس واللسان ، يرضي كل جلسي بغير دهان ، لا يميل جليسه جدّه ، ولا يبعث بوقاره هناله ، وكان متأنقاً في زيّه ومعبثه من دون ما تكلف .

وقال الشيخ محمد الخضرى من أساتذة العصر في مصر : « أما خلقه فقد منح منه ما يحييه الى النفوس ، وبقربه الى القلوب طلاقة وجه وصحة صدر وتواضع الأشراف . كنا اذا أخذنا معه في مسألة رأينا منا قريباً على رفعة شأنه وعلو مقامه ، وربما بدرت منا الكلمة في تخطيط الرأي فيفسح لها صدره ، وبقاها لا تأفف ولا ضجر . وأما اطلاعه على دقائق الفقه وأصراره فقد كنا

نجلس اليه وقد محصنا المسألة تمحيص من يريد النزول الى الميدان ومباهاة الأقران الى ما يحيل اليها أن الفقه علينا موقوف وعن غيرنا مصروف ، فلا نلبث ان نرى ذلك السيل الدافق وقد رجعا الى أول مرحلة من مراحل البحث بما يمارض به عال الفقهاء ، وكان لشغفه بالقواعد العامة يستدرك على ما يخالفها من جزئيات المسائل فكان يحمل جليسه على البحث والاستقصاء وبمدل الفكر اذا زاغ ، ولم يكن سمره وعمله الا فيما يرضي ضميره من كتاب يؤلف أو يترجم أو عمل صالح يقدم للجمهور من أمته » .

أتقن من لغات العلم الألمانية والانكليزية والفرنسية ماث من المصريين والشاميين والنونيين والعراقيين فكانت لهم أدوات تفاخر لتوصلهم الى الاستخدام في حكوماتهم ولكن احمد فحي زغلول أحكم الفرنسية والعربية وما غفل ساعة عن تعريب الكتب وتأليفها يحملها لأمة فينير سبيلها الى العلم ويدعوها الى النهوض ، وما ألف ولا نقل من الغرب الا ما اعتقد نفعه للناس لا ليقل انه ألف ونقل فما نقل وجود فيه ، وكل تأليفه وترجماته كان مجوداً فيها ، « أصول الشرائع » لبنتمام و « خواطر وصوانح في الاسلام » لدي كاستري و « سر تقدم الانكليز السكسونيين » لادمون دي مولين وهو الكتاب الذي أثر في العقول ، ومما عرّب عن الحكيم غشاف لبون « روح الاجتماع » و « سر تطور الأمم » وترجم « جوامع الكلم » و « رسالة مصطفى فاضل الى السلطان عبد العزيز ينصحه فيها وبذكر له ما أصيب به دولته من الانحطاط » . ومن تأليفه « المحاماة » و « رسالة في التزوير الخطي » و « شرح القانون المدني » ويقول علماء هذا الشأن ان هذا الشرح من أمتع ما كتب علماء الحقوق . وكان له فضل في وضع المصطلحات القضائية التي لم تكن معروفة فاختر من العربية ما ينطبق عليها . وكان دقيقاً فيما ينقل يحافظ في ترجمته على أفكار المؤلف لا يمسح ولا يحرف . وبلغ من تضلمه من الفرنسية أن كان بلتي نظرة على كتاب علم كتب بها وترجم عبارته ببيان

عذب لا يشمر جليبه أنه يترجم بل يقرأ من كتاب . كان له اللسان الغربي
أجل أداة ينفع بها أمته ورأى أن يحمل إليها الفائدة من طريق التعريب لعله
بتفوق الغرب علينا في جميع العلوم .

لم يهدف المترجم له للخمسين من عمره وأخرج للعربية هذا المحصول الجيد
من علم العلماء والمفكرين بلفظ جزل سلس واضح وكان مع هذا لا يحرم نفسه
من مباحيها ولا قومه من العناية بخصوصياتهم بفشاهم في أفراحهم وأتراحهم
ويشاركهم في آلامهم وآلامهم ويتمتع نفسه بنصيبها من الرفاهة والنعيم . ولو كان
كل من تعلم على طريقة فتحي مثله على جانب من بعد المهمة ومعرفة الواجب
لقومه عليه لكان لنا من مجموع ما تخطه أقلامهم ويصدر من آرائهم وتجاربهم
كثير نرجع الى ركازه في تنمية ثروتنا العلمية والمادية .

نقل فتحي أفكار غيره أكثر مما دون لنا أفكاره الخاصة لابقائه النفع العام
في هذه الطريقة فتخالف بذلك طريقة صديقه محرر المرأة قاسم أمين فان هذا
دوّن تجاربه وتصوراته وجرأ على نشرها للناس . ولو مال الى الاكثار من
نشر أفكاره الخاصة أكثر من نشر أفكار غيره لثم الخير للعقوئـ على يده
أكثر مما تم ولذلك كان أحد كبار أساتذتنا يقول ان مقدمة « سر تقدم
الانكليز السكسونيين » أفيد من الكتاب الأصلي الذي عربيه فتحي .

قال في مقدمة كتاب « سر تقدم الانكليز السكسونيين » من تعريبه وفيه
مثال من حكم القاضي العادل على قصور أمته : « ضعفنا حتى أصبحنا نرجو كل
شيء من الحكومة فهي التي نطالبها بحفظ حياتنا ، وخصب أرضنا ، وترويج
تجارتنا ، وتحسين صناعتنا ، هي التي نطلب منها أن تربي الأبناء ، وتعلم الفقراء
وترزق المعجزة ، وتنفي أسباب البطالة ، وتحفظ الأخلاق ، وتلمّ شعث العائلات ،
وتجمع أشعث القلوب ، هي التي نطالبها بتعويض ما نقص من ارادتنا ، وتقوم

ما عوج من صيرنا وصيرتنا ، ورد هجمات المزاحمين عنا ، والسر على مصالح كل واحد منا ، فإذا تأخرنا في عمل من تلك الأعمال باهمالتنا ، رميناها بسوء الإدارة ، وانهناها بحجب الأثرة ، وألقينا عليها تسمية خمولنا كلها .

« ولا ريب أننا بهذا الزعم قد ضللتنا السبيل ، فانما الحكومة وازع لا يكف الا ما اقتضته طبيعته ، وشأن الحكومات في الأمم تأييد النظام وحفظ الأمن وإقامة العدل ، وتسهيل سبل الزراعة ، ومعاودة بعضهم بنشاط على ما يضمن حرية التجارة ، وتشجيع أهل الصناعات والحرف ، كما تقتضيه المصالح المشتركة ، وعلى قدر ما تسمح به امکانات ، وبالجملة فالحكومة وازع عام لا واجب عليه الا الأمر العام مما يدخل تحته جميع الناس ، ولا يفرد بالاستفادة منه واحد بخصوصه ، وعلى الأمة بعد ذلك أن تستفيد من هذا النظام ، وتنتهز فرصة الأمن والطمأنينة لتسعى وراء منافعها ، وتطلب الكمال في زراعتها وصناعاتها وتجارتها ، وفي نشر المعارف وحياء العلوم ، وفي أداء الواجب والمحافظة على الحقوق » اهـ .

كان احمد فتحي زغلول يكبر شقيقه سعد زغلول بضع سنين خلد اسم هذا بعمله العظيم لاستقلال مصر وكان رجل ثورة ، وخلد اسم فتحي بتأليفه استفاد منها ابن مصر وأبناء العرب عامة وحرص على النهوض بأمتة من طريق العلم وبث الملكات الصحيحة في النفوس .

محمد كرد علي

مصر

توهم الحرف الأصلي زائداً

والشواهد على ذلك

الشذوذ في قواعد اللغة العربية معروف . وقد اعتاد النحاة والشرح إذا شذت لفظة عن قاعدتها ، أن يقولوا إنها شاذة ، من دون أن يعلموا شذوذها ، أو يذكروا سببه . ففعل أبي يأنى مثلاً جاء من الباب الثالث شذوذاً ، ولا أذكر أنهم علموا سبب شذوذه . ومثله فعل استخوذ من دون اعلالٍ شذوذاً . اللهم الا في ضرب واحد من الشذوذ : وهو أن يكون سببه (التوهم) فقد أكثر علماء اللغة من ذكر هذا السبب في طائفة كبيرة من الألفاظ الشاذة . والتوهم ضربان : توهم الحرف الزائد أصلياً : كميم منطقة ، قالوا في الفعل منها فَمَنَطَقَ ، والقياس تَنَطَّقَ . وبالعكس : أي توهم الحرف الأصلي زائداً . وقد تنبّهتُ الشواهد على الضرب الأول ، فبلغت من الكثرة حداً رأيت فيه كافيّاً في اعتبار هذا الضرب من التوهم قاعدةً تحتذى ، فيحمل على شواهدا المنقولة عن الفصحاء شواهد أخرى تشبهها من كلام المولدين ، فنعتبرها صحيحة سائفة الاستعمال ، ولا نخطئ . الكتاب المعاصرين أو المولدين في استعمالها قال الخفاجي في كتابه (شفاء القليل) : (لفظ الشُبَّاك وإن كان مولداً لكنه ليس بخطأ) . هذا ما أقوله في الضرب الأول ^(١) من الشذوذ المامل وهو توهم الحرف الزائد أصلياً . أما الضرب الثاني وهو توهم الأصلي زائداً فقد أشرت إليه في خلال بحثي الأول ، ولم يكن قد علق بكفي من شواهد الا القليل . وها أنا ذا أبسط القول فيه :

(١) راجع ما نشر في مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٥ ص ٢٠٥ والمجلد ١٠ ص ١٢٩ والمجلد ١١ ص ٥٣٩) .

(قاهرة توهم زيادة الحرف الأصلي) : موضوع هذه القاعدة على

عكس موضوع القاعدة الأولى كما أشرنا آنفاً إذ أن موضوع هذه توهم زيادة وموضوع تلك توهم أصالة .

وأول شواهد هذه القاعدة أي توهم الزيادة منع (أشياء) من الصرف وقد سبق لنا القول أن بعض النحاة جعل السبب في منعها زيادة الألف والمهزة في آخرها وأن أصلها شَيْئَاء وهو جمع شيء ، كما أن قَصَبَاء جمع لقصب . وهناك من جعل همزتها زائدة مانعة من الصرف ، لكنه لم يجعلها جمعاً كقصباء بل جمعاً كأنصباء في جمع نصيب : فأصل (أشياء) عنده أَشْيَاءٌ حُذِفَتْ المهزة الوسطى فبقيت على وزن أفعال .

وكلا القولين لم يُعجب الكسائي رحمه الله ، فتأفف منها وتجنب المراوغة فيها قائلاً : لماذا لا نقول الحقيقة وهي أن (أشياء) وزنه (أفعال) وأنه جمع شيء ، كما أن (أفياء) جمع في . ووزن أفعال جمعاً لا يمنع من الصرف فهذه أفياء ليست ممنوعة ، فكان الواجب أن تكون (أشياء) غير ممنوعة أيضاً . ولكن العرب منعوها !! فكيف ذلك ؟

قال شيخنا الكسائي في الجواب : إنما منعوها لكثرة تكررها على أفواه الناس ، ومشابقتها لحرأ ، فأرادوا التخفيف عليهم فمنعوها من الصرف . وليس معنى هذه المشابهة التي قالها الكسائي إلا أن العرب اشتبه عليهم أمر همزة (أشياء) لوقوعها بعد ألف فظنوها زائدة كهزمة (حرأ) مع أنها أصلية كهزمة أفياء ، ومنعوها من الصرف بناءً على هذا الاشتباه بل هذا التوهم . فمن قوله هذا أو من هنا بدأ في تأسيس قاعدتنا الثانية أعني (قاعدة توهم الزيادة) أي توهم الحرف الأصلي زائداً ونجمل (منع صرف أشياء) على رأي الكسائي (الشاهد الأول) .

أما (الشاهد الثاني) فهو (بُراء) على وزن غُرَاب في جمع يريء : فإن قومًا منعه أي منعوا بُراء من الصرف مع أن همزته أصلية لازائدة . وقد جروا في منعه على خطتهم في جمع أشياء مذ جعلوا أصلها (شيئاء) أو (أشيئاء) وهذه أي (بُراء) جعلوا أصلها (بُراءء) جمعاً لبريء ، على وزن فُعْهَاء وكُبرَاء جمعين لفقيه وكريم . لكن (برءاء) لم تبق على حالتها بل تلاعبوا بها فحذفوا همزتها الأولى تخفيفاً ، وجعلوها على وزن غُرَاب . فقالوا (بُراء) وإنما منعهوا من الصرف ملاحظة لأصلها الذي هو (بُراءء) فإن ألفه وهمزته تفيدان معنى التأنيث في المجموع فتنتع برءاء من الصرف كما تنتع فُعْهَاء وكُرماء وشُرفاء وأُصدقاء . وهكذا (بُراء) التي أصلها (بُراءء) . هذا ما قالوه في تخريج منع الصرف في بُراء عند من قال به ، وهو تخريج فيه تمسك ، وفرط تكلف ، والأولى أن يُخرج الكسائي لمنع الصرف في (أشياء) استناداً الى قاعدة (توهم الزيادة) فإننا توقعنا زيادة همزة بُراء مع أنها أصلية . ومستندنا في هذا التوهم رأي الكسائي في تخريج منع صرف (أشياء) مذ قال إنها منعت لمسايتها لجرأ .

(الشاهد الثالث) أملاك في جمع مَلَك ، وليس في هذا الشاهد منع صرف ، وإنما فيه جمع مَلَك على أملاك . ووجه الغرابة والشذوذ في هذا الجمع أن (مَلَك) أحد ملائكة السماء مشتق من الألوكة وهي الرسالة ، وهكذا الملائكة ، فإنهم موكلون بنقل الرسائل الى الأنبياء . فأصل مَلَك مَأَلَك ، وجري فيها قلب فقالوا مَلَأَك . وخففوها ألفاً فقالوا مَلَأَك ، وهو استعماله الشائع على السنة المسيحية ، ثم حذفوا الألف من مَلَأَك فقالوا مَلَك ، وهو الاستعمال الشائع عند المسلمين .

وسواء أقلنا إن أصل مَلَك مَأَلَك أو مَلَأَك أو مَلَأَك فإن همزته أصلية لازائدة . وإذا كانت المجموع ترد الأشياء الى أصولها فيكون جمع مَلَك

إنما هو ملائكة وملائكة ، بالهمزة الأصلية ، لكنا سمعناهم يجمعونها أيضاً على (أملاك) ، كأفراس جمعاً لفرس ، وقد أشبهت (أملاك) التي هي جمع ملك السماء (أملاك) التي هي جمع ملك (المكسور اللام) أحد ملوك الأرض ، فهما أي أملاك وأملاك جمعان متفقان لفظاً مختلفان معنىً وتخريجاً .
 وإذا قيل كيف جمع ملك السماء على أملاك ؟ قالوا في الجواب إنه شاذ .
 وأرى أن يقال إن جمعه على أملاك مخرج على (قاعدة توم الزيادة) أي زيادة الهمزة في مأك وملاك ، مع أنها أصلية كما مر . فكان القياس جمعها على ملائكة ، لأن الجموع ترد الأشياء إلى أصولها كما لا يخفى . غير أن العرب توهوا الهمزة فيها (أي في مأك وملاك) زائدة ، وأن وزن ملك الخفيف هو فـهـل بالتخريك ، وفعل الصحيح يجمع على أفعال ، فقالوا بناء على هذا التوهم أملاك ، كما قالوا ملائكة على الأصل .

(الشاهد الرابع) جمع منارة على منائر بالهمزة . ويان ذلك أن ألف منارة أصلية لازائدة . لأن الكلمة مشتقة من النار أو النور ، فوزن منارة مفعلة لا فعالة . لكنهم توهوها أي توهوها الألف زائدة ، وقد ظهر أثر هذا التوهم في الجمع فقالوا منائر بالهمزة . والقياس منائر بالياء ، إذ القاعدة في ذلك أن الواو والياء إذا وقعتا في فمائل جمعاً أي بعد ألف تهمزان إذا كانتا زائدتين كياء فضيلة الزائدة يقال في جمعها فضائل ، وتبيان على حالتيهما إذا كانتا أصليتين ، كواو منارة ومنارة ، فيقال في جمع مناور ومناور ، لكنهم في (مناور) قالوا منائر بالهمزة أيضاً بناءً على توهمهم أنها زائدة . على أن قولهم في مناور منائر بالهمزة لا يمنع أن يقال فيه مناور بتواو أيضاً كما هو القياس .
 (الشاهد الخامس) ما حكاه لنا شيخنا أبو العلاء الممرى في كتابه (عَبَث الوليد) نقلاً عن الفراء قال : (إنهم أي العرب يشبهون التوت الأصلية

بالتون الزائدة ، قال : وهذا عند أهل الكوفة أسوغ منه عند البصريين ، يقولون مررت بطحان ، يشبهون نونه الأصلية بالتون الزائدة . وذلك إذا سَمَوْا به (اه كلامه .

فنون الطحن أصلية وهي لام الحكمة وصيغة المبالغة من الطحن طحان ، ووزنه فَعَال ، كضرب من الضرب ، وشراب من الشرب ، فهو إذا مصروف ، لكن وقوع نونه بعد ألف جعل العرب يشبهون (على حد تعبير الفراء) نونه بالتون التي تقع بعد ألف في صيغة فعّالان كسكران ، فيمنع طحان من الصرف كما منع سكران . والفراء قال (يشبهه العرب) ولا أرى التعبير بالتشبيه في هذا المقام بمجمله : لأن العرب لا يخطر ببالهم إيقاع التشبيه بين حروف كلماتهم التي تتناثر عفواً من أفواههم . وإنما هم لما لفظوا كية (طحان) في (مررت بطحان) مثلاً توهموا طحان كسكران فأجروا بها مجراها . وقول الفراء : وهذا إذا سَمَوْا به أي سموا بطحان فتجتمع فيه علتان ، العلمية المحمّلة وزيادة الألف والنون المتوهمّة — وقول الفراء أيضاً (وهذا عند الكوفيين أسوغ منه عند البصريين) يفهم منه أن اعتبار النون الأصلية زائدة في مثل (طحان) يسوغ عند البصريين لكنه عند الكوفيين أسوغ . ومعنى أنه أسوغ أي أكثر تشبهاً في الاستعمال . وهذا يُشعر بقية صيغة مررت بطحان ومجّبان ونحوهما . وإذا كان مجعنا يرى أن من سلامة اللفظ توسيع دائرة التخاطب بها فلا بأس من تسوية ما صوغه البصريون بله الكوفيين . (الشاهد السادس) ما حكاه أبو العلاء الميري أيضاً في كتابه (عبث الوليد) معلقاً على قول البخاري من أبيات أولها :

(لقد أمسك الله اخلافة بعدما وَهَمَتْ وتلا في سِرْبِهَا أن يُنفِرا)

وقال في تلك الأبيات :

(أنت بركات الأرض من كل وجهة وأصبح غصن العيش فينان أخضر)

قال أبو العلاء :

(شَمَر فَيَنان وغصن فَيَنان من الفَنَن فوزنه فيعال) أي فتكون نونه أصلية لا زائدة ، فيصرف . ثم قال أبو العلاء (لكن يترك صرفه كأنه على وزن فعلان هـ) وإذا كان على وزن فعلان كانت نونه زائدة كنون سكران ، فيُصنع من الصرف .

فقول المعري : (لكن يترك صرف فينان كأنه على ون فعلان) لا معنى له إلا كون وزنه على فعلان الزائد النون أمراً مفروضاً فرضاً أو مقبلاً اعتباراً أو متوقفاً توهماً ، وهو التعبير الصحيح الشائع على السنة اللغويين الذين نقلنا عباراتهم في بحثنا على القاعده الأولى أعني (توهم أصالة الحرف الزائد) والفَنَن في اللغة : الغصن المتشعب : فإذا قالوا فرع فَيَنان وشَمَر فَيَنان وائة فينانة أرادوا أن لها فنونا من الدوائب . قال الشاعر :

(إِمَّا تَرَيَّ شَسَطاً في الرأس حل به من بعد أسود داجي اللون فَيَنان)
(فقد أرُوع قلوب الغانيات به حتى يَمِلَنَ بأجباد وأعيان)
وأعيان هنا جمع عين بمعنى الباصرة .

(الشاهد السابع) نوع من التوهم غريب : لا هو من توهم الأصالة ولا هو من توهم الزيادة ، وإنما هو من توهم الحرف الزائد حرفاً زائداً آخر . مثاله : لغات جمع لغة ، فإنه جمع مؤنث يُنصب بالكسرة ، تقول سمعت لغات العرب ، لكن حكى الجوهري في صحاحه أن العرب يتوهمون تاء جمع التأنيث زائدة كالتاء التي يوقف عليها هاء في نحو قضاة ورؤاة ، فكما يقولون رأبت قضاة البلد بفتح تاء قضاة يقولون سمعت لغات العرب بفتح تاء التأنيث . لكن الجوهري عبّر عن هذا التوهم بالتشبيه ، فقال إنهم شبهوا تاء لغات بتاء قضاة ، وهذه عبارته :

(وجمعها أي جمع لغة لثمي ولغات أيضاً ، وقال بعضهم سمعت لغاتهم
يفتح التاء ، وشبهاها بالتاء التي يُوقف عليها بالهاء اهـ) .
وزاد صاحب اللسان على ما قاله الجوهرى قوله : قال ثعلب : قال أبو عمرو
لأبي خنيرة : يا أبا خيرة ! سمعت لغاتهم فقال أبو خيرة : وسمعت لغاتهم .
فقال أبو عمرو : يا أبا خيرة أريدُ أكثف منك جلدًا . جلدك قد رق .
ولم يكن أبو عمرو سمعها اهـ) أي ولم يكن أبو عمرو سمع هذه اللغة التي
نطق بها أبو خيرة . ولذا تمكّم به ، مع أنه أي أبا خيرة أعرابي ثقةٌ تؤخذ عنه
اللغة . فقال له أبو عمرو أريد أن آخذ اللغة عن آخر غيرك يكون
جلده كثيفاً كجلود أعراب البادية . أما أنت يا أبا خيرة فقد لابت الحضارة ،
وعاشت أهلها ، فرق جلدك ، وفدت لفتك مذ قلت سمعت لغاتهم .
ولكن صاحب اللسان والتاج أقرّ أبا خيرة على ما قال ، واعتذرا عن أبي عمرو بأنه
لم يكن سمع ما حكاه أبو خيرة من تلكم اللغة التي من مقتضاها جواز
(سمعت لغاتهم) .

هذه أيها السادة شواهد سبعة على أن في اللغة العربية طريقة ثانية للتوسّع
في تكاثر كلماتها ، وتسهيل أمر التخاطب بها . وهي اعتبار الحرف الأصلي زائداً
وإجراؤه مجرى الزائد . وقلّة هذه الشواهد لا تسمح بأن أقترح على الجامع
اعتباره قياسياً . وما يُدرينا لعل أو لعل غيري يعلّق بكفه شواهد أخرى
فيضيفها إلى شواهد السبعة ، ويكون لنا من ذلك كثرة نرتقي بها إلى تقدّم
الاقتراح ، ونأسس القاعدة .

أما القاعدة الأولى (قاعدة توهم أصالة الحرف) التي عددنا من شواهد
فوق الخمسين شاهداً فأرجو أن لا تحرم حظها من الحياة ، إن شاء الله .

الحقير

محمّد

لمحة تاريخية

في اللغة البرتغالية وآدابها^(١)

هبط هندي من منسك الى المدينة بعد عزلة وزهد طويل ، فوصلها تمباً من وعناء السفر ، ومما قاساه من عذاب في رحلته - فقد كان قليل الزاد الا بما حواه في دماغه ، طرق الباب وولج القبة للقاء داعيه ، حاصر الرأس احتراماً ، خاضع الطرف حياءً ، أمام مجمع ضم بين جدرانها نخبة علماء بلاده ، وعيون وطنه ، ألقى عليهم السلام وقال : « أنتى لي أن أحظى بشرف المشول بين أيديكم وتلبية دعوتكم للانضمام الى حلقكم النيرة بالعلوم والمعارف . وقد أصبحت مشكاة هذا المجتمع ودليله في معارج معرفة سفر الحياة ، بما أفضتموه عليه من خيرات تجاربكم وأفكاركم ، وإذ بتعذر علي أن أضرعكم حكمة واختباراً ، فقد عذرت على أن أرى ما ترون وأسمع ما تسمعون وأنعم ما تعلمون ، واسمحوا لي أن أتقدم خطوة وأزيح النقاب عن وجه كأس المعرفة ، وأضع على مائه وريقات من الزهر ، تعطر المكان ولا تشغل حيزاً .

أيها المحفل الكريم !

لغة جديدة وثقافة جديدة أنقل أول حجر من أحجارها الضخمة في المغرب لأضعه في أسس بنابة المعرفة في الشرق ، أنقل ثقافة ملايين من البشر بسطت عليهم سياسة الأقوياء ظلالها رديحاً من الزمن ، فأزالت معالم حضارتهم ومحت آثار جهادهم واكتشافاتهم من معاجمها . واللغات تحيا أبداً حياة آلية ، أي

(١) المحاضرة الأولى التي ألقاها الأستاذ جورج ليان في مدرج الجامعة السورية الكبير في الساعة السادسة من مساء الاسبوع من كانون الثاني سنة ١٩٥٠ .

ان بقاءها يتوقف دائماً على قوة ثقافة الشعب وسمو أدبه وبلغ نفوذه . وعامل القوة هذا لفعال أبداً في تدعيم اللغة ونموها وانتشارها فإذا ارتقى الانسان بعلومه وسطا عليه الترف فقد القدرة على التقدم والنجاح وهذا ما أصاب الاسبان والبرتغاليين الذين انغمسوا في الترف فانحطّوا في سياستهم وتفرق شمل الوحدة التي تمتعوا بها حيناً في القرون الوسطى حتى القرن السادس عشر . ولما صبحوا من صدمة استيلاء الأجانب على ثروتهم العلمية وجدوا قافلة العلوم والفنون والصنائع والثقافة العامة قد سارت وتركتهم وراءها بعيدين ، نشطوا اليوم وفتحوا خزائن خزائنها الغاصة بنفائس المخطوطات العلمية والأدبية والفلسفية والفنية فأذا بها ودائع عربية نفيسة وآثار كناية نادرة .

اننا نفتح صفحة جديدة في تاريخ الثقافة العربية ، ونعيد الى الأذهان ذلك العصر العربي الزاهر في شبه جزيرة إيبيرية حيث ازدهر العلم والعمران والحضارة في ظلال العرب .

قد يتساءل بعضهم ، وما شأننا واللغة البرتغالية أو الاسبانية ؟ ألا يكفي طغيان الفرنسية والانكليزية الدوليتين على كل لغة في بلادنا ؟ فيجب : ان رابطة الفكر من أمتن الروابط وأقواها بين الشعوب ، ولا شك أن محور هذه الروابط هو الصلات الثقافية البريئة من كل طعن ، والبعيدة عن كل مأرب ، والمتزهة عن كل استئثار يقيم به فريق ويفرم آخر . فالبرتغالية والاسبانية لغتان حيتان لا يقصد بنشرهما وتصميم ثقافتهما تأييد فكرة أو بث مبدأ من المبادئ ، لكن ما يربطنا بهما وبشعبيهما بحكم الفتح القديم يُوجب علينا أن نرجع قليلاً الى التاريخ فتعلم ولو قليلاً من الذين كنا علمناهم ، وتركنا آثارنا وعلومنا بينهم ، علينا أن ننقل الى أدبنا ما لم يزل منه مكنوزاً في ديارهم ، ومن التاريخ ما لا يزال مجهولاً لدينا .

ويجدر بي أن أنوه بما صرح به سعادة سفير البرتغال في البرازيل ،
الدون جوان انطونيوييانكو ، إذ أشار في أحد مواقفه الرسمية الى الروابط المتينة
التي استحكمت بين البرتغال والشعوب العربية ، وهي صلات الدم والعرق واللغة
قال : « اني اعدُّ البرتغالية كابنة شرعية للعربية » والكل يتفق أن يكون هذا
الكرسي البرتغالي في الجامعة السورية فاتحة عهد ثقافي جديد بين الشعوب المرتبطة
بوشائج الدم ، الاسبان والبرتغال والعرب .

ويصرح رجال العلم والأدب في اسبانيا : « ان كل الأمم ، حتى تلك التي
لا صلة لها بتاريخ اسبانيا والبرتغال وآدابها وتقاليدهما ، تعنى بدراسة آثار العرب
في المعاهد الفنية والمجامع الأدبية ، بينما كان العرب أنفسهم في غفلة عن هذه
الأمور الثمينة والآثار العظيمة » .

لم يتصل العرب بعد نزوحهم عن الأندلس بالاسبان لأسباب وعوامل شتى ،
فكانت القطيعة منذ عدة قرون بين الشعوب العربية وشبه جزيرة ايبيرية ، وكان
مرور الزمن عاملاً أول على محو تلك الأسباب التي دعت الى هذه القطيعة .
فالعرب اليوم غيرهم بالأمس في المعترك الدولي ، يتبادلون الوفادات الرسمية مع
الجميع ويحضرون المؤتمرات الدولية والعلمية والفنية والاقتصادية والسياسية وتنتقل
مصالحهم في كل النواحي العملية بمصالح أمم الأرض . فحاجتنا الأساسية ونحن
دول ذات كيان ، ان نأخذ بالأمس التي استندت اليها الدول القديمة في دعم
تكوينها على أن لا تقتصر على تعلم لغات الآخرين ، بل نعود الى درس تاريخهم
وعاداتهم وأخلاقهم وميزاتهم وشؤونهم العامة والخاصة وان تكون دراساتنا
لأحوال أمم الغرب مماثلة لدراساتهم العميقة عن الشرق ، تلك الدراسات التي
بلغت ذروة عالية من الدقة والتخصص والبراعة ، حتى نتجدد بين متعلميهم ، العدد
الوفير من يتقن اللغة العربية ولهجات أقاليمها ومناطقها المتعددة ، وما ذلك لخدمة
الأدب بذاته - ولا لمجد الله - بل لخدمة لمصالح دولهم ، فيفدون البنا أفراداً

وجامعات في بعثات رسمية ، وعلى شكل وفود علية أوتحت ستار التبش عن الآثار والسياحة وجوب الأقطار لتعرف الى ما في الشرق من عجائب وغرائب .

أيها السادة !

اننا مقتنعون كل القناعة بوجاهة فكرتنا ، وعلى أساسها نبدأ دراساتها وأنجائنا اللغوية والأدبية والتاريخية التي لنا بها صلة مباشرة مع شبه الجزيرة أو مع الشعوب الأميركية اللاتينية الجديدة . ولكي نعرف الى شعب وجب علينا درس تاريخ لغته ونشأتها ، ولما كانت اللغة البرتغالية هي محور موضوعنا وجب الاطلاع على تاريخها القديم توصلاً الى فهم أدبها وعلاقته بأدبنا .

« ان أصل اللغة البرتغالية هندي اوروبي تغلبت عليه اللاتينية وهي لغة شعب ساد شعباً متعددة وامتد سلطانه السياسي والثقافي الى معظم مقاطعات اوربا وافريقيا وآسيا كما بسط ابرقه على شبه جزيرة إيبيرية ففدت الأمة الرومانية ، إلى أمة تبسط جناحها على امم مختلفة في الجنس واللون ، متباينة في المدنية والعمران . فاللاتينية هذه - وهي إحدى اللهجات الايطالية كاختيار الأوسكو والأمبريكو - كانت لغة الجمهورية أولاً والامبراطورية بعدئذ ، وقد امتازت اللاتينية بصفتين متباينتين : العامية والفصحى ، فالأولى منها كانت لغة الشعب والثانية لغة الآداب والديوان وتوسطت مع الزمن بين هاتين الصفتين لغة العائلات المختارة ولغة الخطباء والوعاظ اليوميين ، الذين كانوا يبيحون في خطبهم ومواعظهم وأحاديثهم اخاصة من الكلمات والعبارات ما لا تميزه لغة الآداب ، فنجحت عن ذلك فوارق بيّنة في المصطلحات لم تؤد الى انحطاط اللغة بسبب استعمال كلمات وعبارات حوشية ، بل لبست مع الزمن حلل الجدة والابداع وتهذبت لهجتها تدريجياً وارتقت رقياً محسوساً بما أفاض عليها خيال الشعراء والأدباء في احقاب متتالية من وحي نهي حتى أصبحت لغة مقبولة وسهلة ممتعة تغفلت في روح الأمة

وصارت تعبر عن صور حياتها وروحيتها وتفكيرها ومدنيتها . وأثرت الحياة الرومانية ببعض مظاهرها وأشكالها ، في لغة الاقليم ولهجاته وعاداته واراداته ومدنيتها حتى صار كل ما في الجزيرة روماني الصبغة . ولم تكن خطة روما القديمة في تطبيق سياستها الاستعمارية للسيطرة على الشعوب سوى الخطة التي يسير عليها دعاة الاستعمار في العصر الحاضر .

لم تتم رومانية شبه الجزيرة على أيسر صيل ، ودامت سيادة اللاتينية وقوتها على هذا النحو من التأثير في الأصقاع الايبيرية من اوائل القرن الثالث قبل الميلاد حتى اواخر القرن الأول بعده ، أي منذ اجتاحت جيوش الفاتح كينيوس سيبيون وجنود اخيه بوبليو شبه الجزيرة ، حتى قيام محرري البرتقال ثيربانو ومرتوريو ، اللذين شقا عصا الطاعة وأعلنوا العصيان العام ، ومقاومة كل ما هو روماني ، وامتدت ثورتها الى اصبانيا على حين كانت روما ترسل الحملات لاجتثاث الفتن والثورات المتعاقبة التي لم يحمد اوارها حتى زحفت جنود البربر على شبه الجزيرة في القرن الخامس للميلاد وطردت آخر جندي روماني فيها .

وبما لاشك فيه ان معظم البرتقالين حاليًا هو من اصل لاتيني ، والشعب البرتغالي يقول انه احد ورثة مخلفات الرومان ، على اعتبار ان اللغة اللاتينية والثقافة الرومانية احتلتا المكانة الأولى في طول البلاد وعرضها فسيطرتا على المعارف العالية والآراء والمبادئ والمصانع وأثرتا في ترتيب الآداب الاجتماعية والعادات البيتية وفي العقائد الدينية والمذهبية وأشكال ادارات الأحكام والقوانين وغيرها . ولكن هذا التأثير كله قد تأثر هو أيضاً بما طرأ عليه من مصطلحات شعوب شبه الجزيرة وعاداتهم وتقاليدهم وما ألفوه في حياتهم الخاصة والعامة ، وهكذا بدأت اللغة البرتغالية تسميز لفظاً واجتماعاً رويداً رويداً وتتخذ شكلاً خاصاً ومنحى صريحاً يفرق بينها وبين لهجات ولغات اصبانية المتعددة وازدادت هذه الفوارق بمدئد حتى الفتح العربي في القرن الثامن للميلاد بدخول تماير

م (٢)

وتراكيب مفارقة لخصائص اللغة الأصلية كاستعمال المجاز والاستعارة ، فصار للبرتغاليين صرورة اللغات الحية وسهولة الاشتقاق وقوة الابتكار والإبداع ،
 إلا ان البرتغاليين تركوا قليلاً من المصطلحات بألفاظها الأصلية في الإسبانية
 والفينيقية واليونانية والافسكاراس والسنية والجرمانية والعربية ، ولغات الشعوب
 الأخرى التي اجتاحت شبه الجزيرة ، وكانت مماثلة لها روحياً وسياسياً كالقشتالية
 والفرنسية والإيطالية والانكليزية . ولم يستطع البرتغاليون تحاشي اقتباس كلمات
 أفريقية وآسيوية وهندية أميركية بحكم ولهمم بالفتح وبالنظر لامتداد سلطانهم
 الى ما وراء البحار . كما تسربت منهم كلمات وعبارات كثيرة الى اللغة اليابانية
 حينما اكتشفت طلائع البرتغاليين جزر اليابان حوالي ١٥٤٢ .

ونخرج من هذا التحديد الى ان اختلاط الفاتحين بالسكان الأصليين في شبه
 الجزيرة كان في المناطق الشرقية والجنوبية أشد منه في ناحية الاطلنطي وهذا
 ما سبب تباين اللهجات وانقسام الوحدة اللغوية وانقسامها الى اسبانية وبرتغالية
 ولا شك ان للاعتبارات السياسية امّا متيناً في تكوين القومية في أواخر القرن
 الحادي عشر فانطبعت بطابع أدبي خاص ميّزها عن بقية اللغات في شبه
 الجزيرة الاسبانية .

تشتق كلمة برتقال من پرتوس كاله أو پورتو كاله نسبة الى مدينة پورتو
 أحد صرافي تلك البلاد . واول من استعمل هذه الكلمة الكاتب هيداسيو
 في القرن الخامس فكانت الرسائل والوثائق وتشتد نكتب باللغة الحوشية حتى
 اواخر القرن السادس عشر ، وتطورت هذه اللغة تدريجياً وحلت بمجدها محل
 اللاتينية القديمة في الشعر والخطابة والأدب ، ثم ضبّطت قواعدها وتصادقها
 وأفعالها وماشت اللغة الاسبانية جنباً الى جنب . ويمكن اعتبار دور الانتقال
 من جاهلية البرتقال الى مدنيتهما من ظهور ملحمة كامويس الخالدة بين الملاحم
 السبع المشهورة في العالم . وبقيت اللهجات في الأقاليم كما هي وتعددت بعد

فتوحات البرتغاليين واتصالهم في ماوراء البحار بشعوب آسيا وأميريكيا وبلغت الآداب والثقافة البرتغالية أوجها في ذلك العصر ، مرافقة عظمة الأمة وقوتها وسلطانها الواسع حتى استقلال البرازيل وانفصالها عن البرتغال حيث نشأ في العالم البرازيلي أدب جديد تمثل بروح جديدة وعقلية جديدة مع طابع استقلالي بلغ ذروته في العصر الملكي وأوائل العهد الجمهوري مسائراً الأدب الغربي بنزواته ونزعاته وسموه وغاياته حتى أواسط القرن الثامن عشر ، ثم أخذ بالانحطاط والتبدل حتى وقتنا الحاضر بسبب ما طرأ عليه من عوامل شتى كما طرأ على بقية آداب العالم .

ولقد تحرر الأدب البرازيلي من القيود القديمة فلا يحتفظ منها الآن إلا بالقدر الصغير الذي يخدم أهداف الأدب وبذلك مضى مستقلاً مصححاً في مرتفعاته ماشاء التصعيد لا يحسب لأحد حساباً ولا ينظر خلفه ليرى من تبعه ومن لم يتبعه .

وهذا الاتجاه في الأدب البرازيلي المعاصر ظهرت طلائعه في حملة أقلام جريئين خالفوا اتجاهات أدباء النهضة الأقدمين الذين ما جروا أحد منهم على حمل القلم قبل أن ترسخ قدمه بأعمق الثقافة المعروفة في عصره . فقد كان الأديب وفتنذر بدرك أنه ينشيء أدباً هو ذلك الشيء الذي يتصل اتصالاً مباشراً بالجزء الممتاز في كيان الانسان .

وأما أدباء البرازيل وبعض أدباء البرتغال المعاصرين فانهم اندفعوا الى اختصار الطريق والحرب من الجهد اللغوي ، واتخذوا قوة اليأس مركباً هيناً لا يكلف أكثر من صف العبارات وتخييقها كيفما اتفق لينطلق على هذا العمل الزهيد بمدئ اسم الأدب المبكر والعمل الأصيل

وما دامت هنالك جماهير ينتشر بينها التعليم عاماً بعد عام وتنجذب بطبيعتها الى اللون اليسير الخفيف الشائقي وما دام هناك ناشرون يريدون الربح ويمدّون الناس بما يشتهون ، فلا بد ان يكتب الذبوع لهذا النوع من الأدب .

وقد كتب الشاعر البرازيلي الكبير اولاثوريلاك في احد أبحاثه عن اللغة البرتغالية في البرازيل ما نمده حجة في تعريف هذه اللغة في تلك البلاد ، اذ أشار

في موضوعه « الى ان القسم الأعظم من كلمات اللغة الوطنية ليس من ابتكار الانسان بل وليد الأرض ، فبين الألوف والألوف من الكلمات التي نتكلمها ونكتبها في البرازيل ما لا معنى له في البرتغال ، منها قسم في أسماء النباتات والحيوانات وما يعلو الأرض من مظاهر طبيعية وزراعية وقسم في الملاحاة والصناعة . فمن تلك الكلمات البرازيلية الأصل ما هو من أصل هندي وإفريقي ومنها ما هو من ابداع الشعب وابتكاره استوحاها من مشاهدة التقلبات الطبيعية كالنور وألوان السماء ، ومن فيضان الأنهر وأعاصارات الاوقيانوس وصخب الرياح وحفيف الأوراق ، وزقزقة المصافير من كل الأجناس والأنواع وجميع أصوات المخلوقات الحية التي نعيش هناك بينها ونسجها » .

فهذه العوامل قد زادت في ثروة اللغة البرتغالية وضاعفتها ، والأهم النشطة هي التي لا تقف جهودها عند حدود لفتها بل تماشي قافلة العلوم المتقدمة في معارج الترقى والتطور . وهكذا ندرك أن الأدب لا ينبت وحده في صحراء قاحلة ولا في جزيرة من الجزر النائية ، وإنما ينبت وسط المجتمع ويستمد جذوره من حياته . فما يبرز المجتمع من قوى أدبية واجتماعية وغيرها لا يلبث أن يجد صده في صدر الأدب وأثره في توجيه نزعاته وصياغة اشكاله ، كما ان الأدب يصبح بدوره إحدى القوى الفعالة في بناء النظم الاجتماعية وتغذية الحركات الفكرية .

واننا قضاء لفريضة الأدب نعرف العرب الى الروح البرتغالية في شاعرين هما كاسترو ألكس وكازميرو دي ايزيو . وكل ما في الأديبين البرتغالي والبرازيلي بوجه عام هو حنين وشوق الى البلاد الأم ومن فيها ، أنغام غرام وألحان هيام ونشائد اخلاص ، حب وخوف ، وأمل وبأس ، وتشبيب ورثاء ، فمن ذلك :

أيا شوقي الى فجر حياتي

الى طفولتي التي لن يأتي الزمان بمثلها

وآها لحبي واحلامي وازهاري

في القدو والآصال
تحت ظل الموز وبين البرتقال

* * *

في تلك الأيام الجميلة
كنت انتشق انفاس الطهارة
كأنها تفحات الأزهار الطيبة
والبحر امامي بحيرة هادئة صافية
والسماء فوقى رداء ازرق لامع
والعالم دوني احلام ذهبية شبيهة !
والحياة انشودة الحب الشعبية

* * *

فياحبذا تلك الحياة الجميلة الهادئة
وحبذا تلك الليالي المطربة التي قضيتها على نقات الحب النقي
والسماء مزينة بالأنجم الزهر
والرياض مدبجة بأنواع الزهر
والأرض ملآنة بنوافح العطر
والأمواج تلثم الرمال
والقمر يقبل البحر .

هذه من أطايب كازميرو الشهير في ذكريات شبابه .
ولنسمع هبة الشاعر كاسترو آلفس الراشح العقيدة :
أذكر ! وأذكر حينما كنت العب على الشاطئ والبحر يزيد وامواجه ترتفع
وتعلو كالجبال حاملة معها الزبد الأبيض فنباطح الجو !
قلت لأمي في تلك اللحظة : أبة موسيقى قاسية هي هذه الأعاصير الخيفة ؟
هل يوجد ما هو اعظم من الاوقيانوس او ما هو اقوى من الرياح ؟

تبسمت أُمِّي ونظرت الى السماء واجابت : كائن نخافه يا بني ولا نراه ،
هو اعظم من البحر واكوى من الاعصار — هو الله
ولنسمع ايضاً كاسترو آلش يصف شعور عبقري فيبيد :
لو جاب الأرض صراراً لنأى عنه الناس ولو عاش عمراً
فغير معدوم. واحشاؤه خاوية بقرب الأرض الفنية والنهر الجاري
لينس له مأوى بأوى اليه في ارض الله الواسعة
لا يجد عطفاً من احد حتى ولا في الغابات
واذا نشد صديقاً لا يجده ، وان وقف خطيباً لم يظفر بسوى التصفيق
يسير جاهداً في ارض وعرة يرتقي بمواقفه من نصر الى نصر ، مجده ، قوته وزاده
فاذا قيل هذا عبقري خالد لا يموت ، اجاب هو : هل عشت يوماً لأخشى
ان أموت ولا أخلد ؟

فمن هذه المنظومات ندرك ان ادب اللغة البرتغالية كبقية آداب العالم ،
قسم يتصنع ادباؤه في النظم فيأتون بالتافه ، وقسم ينقل الحقيقة المجردة فتأتي
اشعاره طيعة مؤثرة في القلوب ، ومثل هذا القسم الثاني منظومات الاقلية من
شعراء البرتغال والبرازيل .

أيها السادة !

هذه لمحات خاطفة من الأدب الذي نحن بصددده واليكم قطعة للشاعر الاسباني
فيلاسييتا — الذي يتفاخر بنسبه العربي — في البكاء على غرناطة الأندلسية
وقد نظمها المرحوم فوزي الملعوف شعراً :

غرناطة اواه غرناطة ! لم يبق شيء لك من صولتك
هل نهرك الجاري سوى ادمع تجري على ما دال من دولتك
والنسة الغادية الرائحة هل هي إلا زفرة نائحه ؟
ما عدت في النهر كسلطانة جبهتها في مائه ساطعه
لقبة الحمراء في تاجها وهج والمأذنة الالامعه

آه علي ابحادك الضائمه شبيهة بها بالنظرة الدامعه

* * *

لله حراؤك تحسو الأمل وحيدة في الروضة الخالية
لم يبق لازهوه ندمانها ولا صدى أعيادها الماضيه
ولم يعد للعب فيها أنين ينقلد العود عن العاشقين
بيننا يحيل البدر الحاظه باهنة في المرمر اللامع
بين أريج الزهر المنتشي وبين شدة البلبل الساجع
وقصرها الخاوي بأرجائه كم غمر الليل بضوائه
اذ الجواري خاطرات علي سجاده جارية جاريه
أروع ما في الشرق من رقصة تنسجه أقدامها العاريه

* * *

غرناطة أواه غرناطة ما أنت الا خرب قابله
تحمل أصراب السنونو الى افريقيا أنباءك الفاجعه
هناك ابناؤك من بأسمهم باكون لا باكون من بأسمهم
عروا من الاغماد بيض الطبي ووشحوا اخيل بيض السروج
ويمسوا البحر فلما بدت منك على الأفق جبال الثلوج
خروا على أوجهم راكعين وزفروا من قهرهم صارخين
غرناطة أواه غرناطة ! ضمت فيا للعظم الضائمه !
فيزفر الموج ويكي لهم حين يرى أعينهم دامعه !

وختاماً لا بد لي من توجيه التحية العاطرة مع كمة شكر لحضرة السيد يوسف اليازجي صاحب فكرة إنشاء الكرسي البرتقالي في الجامعة السورية ، وقد عرفتموه شخصياً أثناء زيارته لهذه المدينة الخالدة وتبرعه ببناء جناح خاص في هذه الجامعة العاصرة ، فترجو ان يتبش الله لهذه الأمة كثيرين من أمثاله حتى نصل الى الدرجة التي وصل اليها الغرب في كل نواحي الحياة العلمية والاجتماعية .

جورج ليان

سوانح

عهدت أديباً تمت له أدوات الفضل وما كان ينقصه الا أن يشرع بالعمل ،
وبقيت دهرأ أتوقع أن يخرج من قلبه ولسانه ما ينتفع به قومه . وكثيراً ما كنت
أتلطف بدعوته الى واجبه فثبت لي بطويل الأيام أن الرجل صاحب دعوى
لا يهجم نشر العلم بقدر ما يهجم المظاهر والمادة . وكان مما يؤلمه أن يرى بعضهم
يرقون في الوظائف ، ومنهم تلاميذه أو من عرفهم صفاراً ، وهو ثابت في مكانه
لا يتزحزح منه . وادعى في أخريات أيامه انه سيكتب كتاباً لم يسبق للعالم
أن ألف لهم ما يحاكيه ، عجز القدماء والمحدثون عن الاتيان بمثله ، وسماه اسماً
مفرباً . وظل على هذه الأوهام حتى وافاه الحمام ، وما أخرج فصلاً من فصول
كتابه الذي لم يخط سطرأ منه فيما أحسب .

بلغ الاعجاب بالنفس في بعض المعاصرين المفرورين أن ذهبوا من الأرض
وما أفادوا أنفسهم ولا أفادوا غيرهم ، وما كانت دعاويهم الا خيالات وأوهاماً ،
يتبجحون بها أمام أصدقائهم وأعدائهم . ولو كانوا على شيء من حب العمل
لأخرجوا من بضاعتهم ما يفيضون به وجوههم . ويدفعون عنهم ما يُرمون به
من القصور . ولو ان كل مؤلف وكل باحث وكل مخترع توقف عن نشر
ما ألفه وبجته واخترعه أو يبلغ غاية الكمال الذي يتصوره لمخت العصور وما ظهر
في العالم ما يفيد الانسانية . المتطمعون لا يأتون عملاً كاملاً ولا ناقصاً .
ويقال لمن يموهون بأنهم يتطلبون الكمال يتدبشهم عن نشر شيء من أديهم وبجشهم :
لكل حسن في هذه الحياة أحسن منه ، والتسويق لبش من الحزم في شيء .

إذا كثر عدد من يتجههم للثام ويحتقرهم ينقضون مع الزمن ، ومن عود نفسه الاعراض عن المباحكين ينفع نفسه وينفع غيره .

لانمياً بقول من يجب اليك التفاضي عن انكار العيوب ، فالاصلاح لا يرجي الا اذا قام كل من يعقل بما يقدر عليه من تقويم المعوجات .

قالوا ان الغرب اخترع آلة اذا سلطت على رأس الانسان كشف بها ما يحول في خاطره من الأفكار . اذا صح هذا الاختراع يبطل الكذب والتعدي فتغدو هذه الآلة المباركة من أنفع ما أوجد الانسان لخدمة الانسانية .
 يمل الحياة وتمله كل من لا يحسب حساب وقته ، ولا معنى للعمر مع الفراغ ، والخير كل الخير في المواظبة على العمل وان قل ، وقديماً قالوا : « غبار العمل خير من زعفران العطلة » .

قتل فلاح من قرية جوير في القوطة قتيلاً وجاء الى الجامع الأموي يختبئ في غرفة أحد مدرسيه ، واتفق أن دخل قاضي دمشق الأستاذ سعيد الأسطواني غرفة المدرس فتقدم هذا الى القاضي يرجوه أن يخفف الحكم عليه . فسكت القاضي ، وبعد دقائق نادى خادمه وأمره اليه أن يذهب الى صاحب الشرطة ليرسل اليه بضعة شرطين فأتوا وقبضوا على القاتل ، واقترب القاضي من الشفيع وقال له : كيف تريدني على أن أعطل حداً من حدود الله ، بتخفيف الحكم في هذه الجناية ؟ فأبلس الشافع ثم قال : الحق معك يا مولاي ، وأعاهدك على ألا أعود الى مثلها ، وكان القاضي بجرمه على قتل القاتل عظيماً جداً ، والمدرس باعترافه بظلمته في شفاعته متعللاً ، وفي التطبيق على ما وقع أقول : ان هذه الأمة ما خلت حتى في عصور انحطاطها من قوالين بالحق ومن متفانين بتطبيق مفاصل الشرع على القوي والضعيف سواء .

نظرت أعداداً من المجلات العربية التي تصدر في بعض أنحاء العالم الاسلامي في أيماننا كمجلة «الحج» في مكة المكرمة ومجلة «البصائر» في الجزائر ومجلة «لسان الدين» في تطوان ومجلة «الثقافة الهندية» في نيودلهي - فوقفت فيها على أبحاث متقنة بانثائها وموضوعاتها ، تنبيء بسعة علم كاتبها . فقوي أملنا بأن تفدو اللغة العربية من أوسع اللغات انتشاراً بعد جيل أو جيلين على الأكثر ، وبخاصة اذا تضافرت جهود مسلمي الباكستان والهندستان مع جهود الدول العربية ، دع سائر مسلمي الأرض كأهل أندونيسيا والصين وتركستان والقوقاز والقرم والأفغان وإيران وتركيا . واذا غدت اللغة العربية لغة الباكستان الرسمية أصابت العربية أعظم حظ بين اللغات ما كان لها مثله أيام عز الدولة الاسلامية .

كان أحد شيوخ الأزهر الجامدين يحاضر شيخنا الأستاذ الامام محمد عبده بالعداوة في حياته ويكتب في تكفيره وتبديعه ويورد في دروسه أشياء من هذا القبيل . روى لي أحد الأصحاب انه اطلع لهذا العالم المتعصب على مقالة كتبها في آخر أيامه اعترف فيها باساءته للامام وشهد بحسن اسلامه وسعة علمه ! الرجوع عن الخطأ من أجل الفضائل ، وكان هذا الاعتراف أجمل وقعا لو جرى في حياة من يحاول منافسته ، والظاهر أنه كانت تحول دون ذلك أسباب منها المنافسة والحسد وحب الاستئثار بالحظوة من الملوك ، وحسن القبول من العامة . وبش التحامد تحامد العلماء وبش التباغض تباغضهم .

لو أقبلت الأمة على كل أمر فيه خير لها أقبال أبناء مصر والشام والعراق لمهدنا على التعلم لتولي الوظائف في حكوماتها لكننا من أرقى الأمم ، ولا بتأني من تكثير سواد الموظفين الا انتشار روح الانكسار في سكان هذه الأنظار ، وفي ذلك من الخوف على مستقبل أبنائها ما لا ينكره ذو بصيرة . ومهما صرنا بهذا الاقبال على المدارس لا نراه الا مؤدياً الى ضعف الاستقلال الشخصي .

ذلك لأننا شهدنا من تعلم الميكانيكيات مثلاً يرغب أكثر ما يرغب في التوظيف، ومن يدرس الطب لا أرب له في غير التوظيف، ومن يتعلم الزراعة أو الكيمياء لا يختار غير التوظيف. وقلّ جداً في المدارس من يفكر في سلوك طرق المهن الحرة، وإن اعتقد كل واحد أن مهنته تعود عليه بربح أوفر وعيش أهنأ إذا عانها حرّاً. ونراه أبداً يفضل العيش المضمون ولو كان قليلاً ضئيلاً. بدأت عقلية اختيار المتعلمين لسلك التوظيف منذ وضع الحجر الأول في أساس أول مدرسة أنشئت في مصر في القرن الماضي، وقويت هذه الفكرة مع الزمن وربما كان منها فيما يستقبل من الأيام ما تدخل معه الحياة الاجتماعية في اضطراب لا تقدر الآن مداه.

حبذا لو بحثت وزارات المعارف في الدول العربية في وصف دواء لهذا الداء داء اقبال المتعلمين على الوظائف بما لا تنفع للقيام به خزائن هذه الدول، ويفسر بمستقبل أبنائها الضرر العظيم.

أسدى الفيات الأمير كيان كارنجي وروكفلر من ضروب الخير لخدمة الإنسانية والعلم ما لم يفكر في شيء منه هنديان مسلمان أكثر منها ثروة حتى ليعدهما الناس أغنى أغنياء العالم. صرف الأمير كيان ثروتهما الضخمة على الملاحي والمستشفيات وبيوت العلم وخزائن الكتب والمخابر ولم يصرف المثرين الهنديان شيئاً يذكر في هذه السبيل. خلد اسم الأمير كينين العظيمين بما جادت به نفسها الكريمة وبذهب الهنديان من الدنيا بصفقة المليون كأنها ما ملكا ولا عاشا. جمع الأمير كيان العظيمان من الصناعة والتجارة ما جمعا بكدهما ونبوغهما ثروة عظيمة، أحسن اتفاقها كل الاحسان، وجمع الهنديان أموالها من الصدقات والزكوات، وشتان بين مال طاهر شريف ومال تعافه النفس لأنه مجموع من الدناءة والدجل.

الأغنياء عندنا يجودون على التافهات من مظاهرهم ولا تحدثهم أنفسهم أن يبنوا

ملجأً أو مستشفى أو مدرسة تكون صدقة دارة عليهم ، وآية شرف حقيقي ليوثهم . كان المسلمون أيام كانوا عاملين بتعاليم دينهم على قدم الفريين في التفكير في اخير العام والصدقة الجارية .

عشت الربع الأول من عمري في مدينة لا أسمع فيها ليل نهار الا اذان المؤذنين وأصوات المهللين والمكبرين . حتى اذا مد أول خط حديدي بين بلدتي ومينائها أصبحت أسمع صفير بخار القاطرات في الغدو والآصال . ثم جاء الترام الكهربائي بهزائه ورجفاته ثم اخترعت سيارات النقل والشحن والآوتوبوسات والآوتوكارات والموتوسيكلات والتراكتورات والموتورات وغيرها من المحركات ، وبكشف البخار والكهرباء وما نتج منها من بديع المخترعات تطورت مرافق البشر وكانت أنت عليهم قرون كثيرة وهم يكتفون في امتصاحهم بالشموع ومسرج الزيت فأصبحوا لا ترضيهم المصايح التي توقد بالنفط ولما أتى الكهرباء استمتع به الغني والفقير في المدن والقرى . كان الناس لا يعرفون للتدفئة غير الحطب والفحم ويتحملون ما فيهما من الاضرار بصحتهم ، وكربون الحطب وكربون الفحم قتال . فجاءت اوربا بهذه المدافئ السهلة تحمي بالحطب ثم بالفحم الحجري ثم بالكهرباء ثم بالمازوت وكان الدفء المنبعث منها أكثر قوة وأشد بعداً من الضرر .

قلت لصديقي الأبر مصطفى بك حنفي من كبار رجال القضاء في مصر : لماذا لم توجه اليك رتبة الباشا مع ان آخر مناصبك كان وكالة وزارة العدل ، ومكانتها عظيمة في عرف الدولة ، علي حين شهدنا غيرك ممن اعتقد أن ليس لهم اقتدارك ولا استقامتك قد وصلوا الى رتبة الباشوية ، ولو كان وراءها رتبة أعلى لطالوها بكل حيلة . فأجابني رحمه الله جواباً لا يصدر الا عن عالم متواضع أشبع روحه بحب العدل والحق . كان صاحبي من النوادر في أبناء مصر الذين زهدوا في الألقاب والرتب لكثرة ما ابتذلت .

لم يرض بنو العباس أن يكون خليفتهم الأول ابن أمة . ولما ضعفت مشغصات الأمة على عهد ملوك الطوائف رضي العرب أن تحكمهم دولة جلُّ أبنائها من المالك الذين صرّت يد الخناس على رؤوسهم .

بما قلل عدد المختلفين الى الجوامع انحطاط الفنة التي تقوم بممارسة الشعائر في الأوقات الخمسة وأيام الجمع والأعياد ، فلا يكاد المصلي يسمع خطيباً ولا اماماً ولا مؤذناً يحسن استهواء القلوب . هذا في المدن اما في القرى فان تنفسك رائس مما تسمع ، وتود لو تخرج من المسجد قبل أداء الصلاة .

من عاداتنا ما يجب الاحتفاظ به لأنه جميل ومعقول ومنها ما ينبغي لنا ان نرفع عنه لمنافاته روح الزمن ، وقانون المنطق الصحيح . والمقل هو الذي نحتكم اليه في مثل هذا الاصلاح .

اذا زكاك أحد في وجهك الزم انصت فالصمت بك أشبه ، واذا استطعت أن تنصام حتى لا تسمع ما يقول تحسن لنفسك . فقد يقول الزككي فيك ما يقوله لمن هو أقل منك شأنًا ، لأنه ما حفظ من معجم الأُمادح الا ما يقوله لكل من يراه .

ما انحلت الدولة الاسلامية الا بانحلال أخلاق علمائها وملوكها أي بفساد السلطين الروحية والزمنية كما يطلق عليها الانرنج .

تتمتع الدولة بعظمتها ما دام أسطولها يشق عباب البحار ، فاذا ضعفت بحريتها يضمف سلطانها ، هكذا كان شأن البرتقال واسبانيا وهولاندة وتركيا منذ تخلفت عن خوض البحر .

يفضحني ما أسمعه في اليثاات المنفرجة في بعض أصقاع الشام من الألفاظ
المستحدثة الثقيلة على السمع والطبع ، يطلقونها على الرجال والنساء سواء .
ومنها ما تعذر عليّ النطق به مع اني كررته غير مرة . أولع بعض المسيحيين
في الشام بالأسماء الفرنجية على ثقلها ويسمي الأقباط في مصر أولادهم بأسماء
عربية اسلامية .

تكاد تكون كلمة العارفين متفقة على أن ديار الاسلام على نباعد أقطارها
وأمصارها تشابه في خرافاتها وأساطيرها ، ولعل معظم ما تمثقه من المعتقدات
الباطلة انتقل اليها من الأمم السالفة أو من عوامل خلقها الزمن . التخريف
يسطو على النصارى والمسلمين كما يسطو على البوذيين والبراهمة . ولا تكاد تجد
انساناً مهما ارتقت مداركه يتجرد من خرافات يقف معها رؤساء الأديان وعلماء
الترينة موقف العجز ، لا يهتدون سبيلاً الى تبديلها او اصلاحها او القضاء عليها .
ومن أرباب المذاهب من يتبرأ مما دونه أهل مذهبه وشاع عنهم بالتواتر وأبده
البيان . وأصحاب كل مذهب غارقون في ترهاتهم مقتبطون بها ويتمهمون أصحاب
المذاهب الأخرى بالتخريف وبكذبون جهاراً على مخالفهم الا من عصم الله .

يلتقط المرء من السباحة جزءاً عظيماً من ثقافته ، المدرسة يأخذ منها النظريات
وتحصل له العمليات بالاختلاط والتغرب . اذا قوي حب السباحة في العرب ،
وتوالى رحيل المنورين منهم الى أرض أرقى بحضارتها من أرضهم ، يعمدون الى
أهلهم بما ترقى به معاشهم ومظاهر حياتهم .

يوم اشتدت حاجة دول العرب الى اختصاصيين في العلوم والفنون أقبل الأذكياء
من بنينا على تلقنها ، فكان لهم في حكوماتهم أسمى المناصب وأوفر الرواتب ،
وهم بدا على بعض الأقطار طابع العصر وما جد فيه من ابداع .

يبالغ بعضهم اذا لقيتهم في تحيتك ويكثر من ذكر أشواقه ، واذا غبت عنه قد يمييك ويقتابك فالأولى بك اذا اجتمعت الى من هذه أخلاقه أن تقطع عليه حديثه وتشغله بحديث غير حديث ثقافته .

بهر الغربيون الشرقيين بما ابتدعوه من حضارة ، فظن الشرقي ان فطرة الغربي هي التي أبدع بها ما أبدع ، وأن الشرقي يتمذر عليه أن يقلده ، فلما اختلط أهل المشرق بأهل المغرب ، ووقف الشرقي على أسباب فلاح الغربي ، تبين له أنه يشبه من أكثر الوجوه ولا يتفوق الغربي الا بانتظامه ودؤوبه .

من الأردباء من يتمددون اغضابك ليخرجوك عن اتزانك ، وليتخذوا من احراجك ذريعة الى ابذائك ، اذا وقع نظرك عليهم بادرك الى الهرب منهم ، فالهرب ثلثا الشجاعة كما يقول العوام .

نجح من عاجلوا في تأليفهم ما جودوه من دراسات جديدة في العلوم المعادية والمعاشية ، فحملوا الى من تناولوها معلومات صدوا بها نقصاً في معارفهم . ومن لا يُعنى كل العناية بتأليف ما يؤلف بعد محقراً لمن يكتب لهم من أهل جيله وأهل الأجيال القادمة ، والكتاب الضميف التأليف ، على أي حال ، محكوم عليه بالفناء بعد أيام تمضي على صدوره من المطبعة .

كنت أعتقد بعد مرور سنين على تأسيس معاهد التخصص - وشهادتها - يحرزها الطالب بعد شهادة العالمية من الأزهر - ان خريجي هذه المعاهد سينزعون عنهم ثوب الخمول وينصرفون الى ما ينفع بتفكير جديد وعزم وطيد ، واذا بالكسل القديم هو الكسل ، واذا بالتواكل القديم هو التواكل ، واذا بالمسألة مسألة طبائع وأخلاق وعلم وعمل .

لم أعلم أمة دولة من الدول الحديثة خرجت على قانون الانسانية فعدت المسالمين
كالمخاربين ، واستجازت قتل الآمنين والمستأمنين ، وهم بمنزل عن ساحات الوغى .
كانوا في الحروب الفائرة يقتل الرجال الرجال ، فابتدعت الدول في الحروب
الحديثة بدعة قتل الأبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال .

فطر الانسان على الشر ، والصالحون من جنسه شذوذ . علم الأنبياء والحكماء
الناس ما فهمهم به عن البهيمة ، يد أن تأثيرهم فيهم كان ضئيلاً لم يواز
ما تحمله من العناء في هدايتهم .

صررت برجل في الكهولة بعد نفسه لنيل الشهادة الابتدائية . في القرب
قد يبدأ المرء في الستين أو السبعين من عمره يتعلم علم ما قدر له تعلمه في صباه .
ومنهم من يدرس لغة شرقية ، ولا يستغرب ذلك لأنهم كلهم مؤمنون بأن المرء
يتعلم ما دام يعلو نفسه وينزل .

أخط المجتمعات البشرية مجتمع لا تسمع فيه غير الاستسلام والرضا ،
لا نقاد ينقدون ما اختلف من أوضاعه ، ولا دعاة أمناء ينكرون ما اعتل من
أحواله ، كلهم موافقون ليس فيهم مخالفت .

من أخلاق هذا العصر ألا يصاغ المدح والقدح الا عن غرض ، فقد يبالغ
رجل في وصف رجل لأنه قصده في حل مسألة فحلها له على ما يشتهي ،
وبقدح في آخر لأنه لم يتزل على رغبته فينتعه بالجهل والأثرة وقلة الخير .
ولو قدر للمطمعون فيه ان يراجع النظر بطلب من لم يعمل له ما يريد باديء بدء
لعاد يكبل له المدح بالمكيال الواسع ولا أقام له الأعذار على موقفه منه بالأمس .
لذلك أوصيك أن تحذف معظم ما تسمع من المدح والقدح حتى تصل الى بعض الحقيقة
فلطالما غش المادحون والقادحون من يسارعون الى تصديقهم ويثقون بما يقولون .

إذا امتنعت من الاجتماع الى من اعتاد أن يتم لك وبينك تقلل من منفصاتك ، وإذا تجنبت لقاء من فطروا على الضرر تعاون على الكبح من جماهم .

لا تعرف مواطن الضعف من انسان حتى تعاشره ، ولا تتجلى لك عيوب البيت حتى تسكنه ، ولا تقص القانون حتى يوضع موضع التنفيذ .

في صحة الأشرار مضرتان عظيمتان اما ان تعاشرهم على مضض فتكون حالك معهم حال من يساكن الثعبان لا يأمن يوماً عفته ؛ واما ان تتكلف في حديثك معهم لترضيهم فتتلم بهم النفاق .

١١ ظهر محمد علي الكبير في مصر كان وادي النيل وعامة البلاد العربية قد بلغت الحد الأقصى في انحطاطها ، فأدرك يبعد نظره أن تربة مصر بكر فتقدم وبذر فيها بذور المدنية فآتت أكلها ، وعدّ عمله المجيد من أدهش ما قام به فاتح شرقي .

ما كان التاريخ الى زمن قريب الا تدوين أخبار الحروب على ما يرضي الملوك ، وقد يعرض لذكر الظواهر الجوية من الزلازل والأوبئة والمجاعات والسيول والجفاف ، ويذكر من يموت من الفقهاء والأدباء . والتاريخ اليوم يبحث في أسباب الواقعات ويحللها ويعملها ويسلسلها ويهتم بالاقتصاديات والاجتماعيات ويدقق في أسباب الفنى والفقر ، والبواعث الى الثورات والحروب ، وينظر في صيرة من يتولون السياسة ، ويلم بكل ما يرفع بني الانسان ويخفضهم . يقول صديقي الأستاذ محمد عبد الله عنان المؤرخ المعاصر : أصبح التاريخ في عصرنا علماً جليلاً يقوم على المباحث والمقارنات العلمية والنقدية والاستنباط المسند ، وأصبح وثيق الصلة بكثير من العلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . م (٣) -

كان رجل يقول لابنه وهو يتفرس فيه الفبارة : يا بُني انك لن تكون رجلاً ، ومضت أيام وارتقى الابن في وظائف الدولة وأحرز لقب باشا . فبعث ذات يوم يطلب أباه لمقابلته بواسطة الشرطة . فقال الابن لأبيه : كثيراً ما قلت لي اني ان أكون رجلاً ، وما قد كذبت الأيام ظنك فأصبحت في هذه المرتبة وهذه الرتبة . فأجاب الأب : وما زلت على رأيي فيك فانت وما بلغت من المظهر لا تعد الى الآن في الرجال ، كيف تأتي بي اليك مخفوراً ، ولا تقدر ما يحدث لي ذلك من الترويع ؟ وهذه النكته تصدق لهدنا على بعض من ارتقوا في السنين الطويلة أو بعوامل أخرى ، وظلوا على فطرتهم من قلة الذوق وخشونة الطبع .

نشأ التبطل في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى - وأذكر انه بلغ فيها عدد المتبطلين يومئذ ستة ملايين - فأصدرت الحكومة الألمانية قانوناً يحظر على الرجل تعاطي أكثر من حرفة ، حتى ينفخ الجبال لكل وطني أن يجد رزقاً ، بمعنى أن الطبيب يبقى في طبه فقط لا يمارس الزراعة ولا التجارة ، ويحظر على المالي أن يتجر أو يستخدم في الحكومة أو في شركة ، وعلى صاحب العقار ان يفتح مملاً ، وهكذا قسمت الدولة موارد العيش بين الرعايا وزادت على ذلك ان نقلت المعامل من جوار المدن الى الأرياف ، ومنحت كل عامل قطعة من الأرض يزرعها عياله فتأتيهم ببعض مؤنتهم .

أما في الشرق فقد شهدنا انخراط موسيقاراً ، والمزارع بندس في عمال الحكومة ، والمحامي يرابي ، وعهدي بمحام يمارس مع حرفته خمس حرف ، وبملك بتجر ويقتني سفناً ينقل عليها تجاراته ، وبآخر بدير مزارعه على حسابه ولا يستطيع من في جواره من الرعية ان يبيعوا حاصلاتهم في الأسواق قبل أن تباع حاصلات الملك . فلو سرنا على القانون الألماني لوزعنا الثروة العامة على الطبقات ولقضينا على التبطل ، ولأدخلنا التحسين على الصناعات .

حدثني من شهد الثورة العثمانية المعروفة بانقلاب سنة ١٩٠٨ أن الأتراك في الأستانة أهانوا معظم وزراء السلطان عبد الحميد وعماله ، لما لقوا من جورهم أيام حكم الاستبداد ، إلا عبد الرحمن باشا وزير العدل فانهم خطبوا في فضائله الخطب ، وأكبروا جلائل أعماله ، وعددوا ينض أباديه ، وحملوه على أكشافهم ورؤوسهم تمجيداً لماضيه الطاهر . يعرف الصالح من الرجال من عاشوا في حكم الطغاة على ما لا يعرف أمثاله في الحكومات الدستورية ، ذلك لأن من هم على شاكلته في الأخلاق فلائيل في حكم الطغيان أشبه بالبقعة البيضاء في جلد الثور الأسود .

خطرت لي خواطر حمة وأنا أتصفح ديوان ابن جُبَّوس في مدح الدولة الفاطمية وهجوم لما أدبرت دولتهم ، ورجوعه بأمد يحه على من خلفهم ، وتلونه في مدح العرب والترك ، وتجلت لناظري صفحات من تاريخنا الأدبي والاجتماعي ، وماءني أن ينظم مثل هذا الشعر الجزل في مدح الظلمة ، وأن أشهد رجلاً صنيًا يطمئن في الخلفاء بدون حق ليثبت للباطنية من الصفات كل ما يرضيهم فيرفضهم إلى درجة الربوبية . وقلت كم ضاعت في العرب قرائع شغلت بالعبث ، وطوى الدهر الشعراء وشعرهم وما أفادوا منه إلا حننات من الدنانير ركبوا للحصول عليها مراكب العار إلى الأبد ، وما عهد أن لفت شاعر من هؤلاء المداحين نظر ممدوحه خليفة كان أم ملكاً أم أميراً أم قائداً إلى عظم مصيبة الأمة بمن يقتل من النفوس في سبيل شهوات العظاء وإلى مما تئن منه الإنسانية من حيف الكبير على الصغير . وما كان للشعراء من عمل إلا أن يخلعوا على ممدوحهم صفات أكثرها كذب وتضليل ، وإن يصوروا الخلق في ظل تلك الدول الفاجرة كأنهم الملائكة في جنات النعيم . وفي بقيني أن طلاب الأدب لمهدنا يمرون بهذه الأماديج والأهاجي كما يمر عابر سبيل بجيفة تؤذي حواسه بتنهنها ومنظرها .

الكلام صورة الروح الذي يصدر عنه ويكون وقعه في النفوس بقدر ما لقائه من اخلاص وصدق . شعر عمر بن ابي ربيعة وشعر الشريف الرضي أقرب الى القلوب من شعر المتنبي وشعر البحتري ، تقرأ في قصائد الأول والثاني العزة والكرامة وفي الثالث والرابع تراءى لك المطامع وصغر النفس .

عرفت شيخين مصري وشامي تخرج الأول في دارالعلوم وجمع الى تربيته الدينية الراقية تربية مدنية وأتقن الانكليزية حتى غدا يخطب بها كالانكليز . واكتفى الشيخ الثاني بالدرس في الأزهر ، وكلاهما من الذكاء على جانب عظيم . شهدتهما لأول أمرهما راضيين عن حالتهما الى أن قام في ذهن الأول أن صناعة التعليم عقيمة لا مستقبل لها فألقى نفسه في غمار السياسة طامعاً ان يتحدث الناس عنه كما يتحدثون عن مصطفى كامل السيامي ، وراح يسير على خطته وما أفلح في تقليده . وكان الثاني ضعيف الثقة بنفسه فاكتفى بما تدره عليه مهنته ، وأضاف اليها أموراً يتكسب منها قليلاً ، الا انه ظل طول عمره يتحسر على أوقات قضاها في صناعة التعليم ، وكانت تهيج نفسه اذا رأى بعض تلاميذه يتقدمه في المراسم بحكم مركزه .

وعندي ان هذين الرجلين صارا الى الانحطاط منذ أخذتا بتطلعات الى ما لم يخلقاه ولا استعداد لها للقيام به ، ولو كتب لهما أن يتوفرا على امتثال ما نعلم لأحرزا المظهر الذي نافت نفسها اليه من دين صحب ولا كبير تعب ، ولكانت الدنيا أرضعتها من أفاديقها ما يعيشان منه يرفاهية ، وما ينقصهما من المظاهر بعوضانه بما يتمتعان به من رضا النفس وراحة القلب . وأكبر العيوب التي تبدو في بعض أهل هذه الصناعة أنها تحاول جمع المغائم بأسرها ، تريد العلم وشهرته ، وتريد الجاه والمال ، وتريد الحكم والسياسة ، وتريد ان تعرف بالتقوى والصلاح وهي أبداً حائرة تود لو لم تدخل فيما دخلت فيه من تحصيل العلم ، وانها لو سالتها الأيام لجلت لها الخيار في اتخاذ صناعة رابحة غير التعليم .

ربما كان الفقراء في القديم يهضمون أغنياء عصورهم أكثر مما يهضم أمثالهم في عصرنا . ذلك لأن الأغنياء في القدماء كانوا بمرفون واجبههم أكثر من هذا الخلف ، يفيدون من أموالهم من يحتاجون إليها وينفقون في نصرة الدين وأحياء الآداب والعلوم ما كانوا يعتقدون أن الأمة لا تحيا بغيره . كان الأغنياء قديماً يحاسبون أنفسهم موقنين أن واجبههم أن يشاركوا الفقير في نعمتهم ، يبنون بيوت العبادة ، وينشئون المصانع المفيدة ، ويعينون الأدباء والشعراء على ما شغلوا به أنفسهم ، والفقير والحديث على نشر فقهه وحديثه . ولو لم يكونوا على ذلك في معظم الأديار لما وجدنا اليوم في ديار الإسلام جامعا ولا مدرسة ولا مستشفى ولا أدبا ولا علما ولا فتنيا ، ولا شيئا مما هو الدعامة الأولى في حياة الشعوب . كانت تقوم بهذه المحامد الطبقة العالية والثالية لتنفع الطبقة النازلة ، ولا تقصد من ذلك إلا ثواب الله . وكانت الطبقة الثالثة أبداً موضع اهتمام سائر الطبقات .

عندي بمشرات البيوت في الديار الشامية (دمشق ، حلب ، بيروت ، طرابلس ، حمص ، حماة ، نابلس ، القدس ، عكا ، يافا ، حيفا ، الناصرة ، صفد ، غزة) وقد نقي فيها غراب الخراب ، وافترق أربابها بعد جيل أو جيلين من تأسيسها ، وذلك بالامراف والمفاصرات ، وبامتنامة الأبناء إلى ما خلف الآباء وترك السعي والعمل . أضاع الخلف ما خلفه السلف وأصبح حكم الأغنياء بعد النعمة الواصلة حكم من خلقوا فقراء ، والفرق بين هؤلاء ومن وصلوا إلى الفنى وفقدوه أن قدما الفقراء راضون عن حالتهم لا يستحون من ظهورهم بالمظهر الذي يقدرين عليه ، أما الأغنياء المفتقرون فأمسوا من المتعذر عليهم أن يلبسوا لباس المعدمين ويسكنوا في مثل منازلهم . حكم القانون الطبيعي بخراب تلك البيوت فاضمحلت ثرواتها بقلّة التدبير وتوزيعها بين الوارثين . ومثل ذلك جرى ولا يزال يجري في مصر وغيرها من ديار الشرق .

قالوا السفر قطعة من العذاب ، وما كان هذا العذاب في الواقع يصيب غير الفقير ، والفني في كل زمن مرفه في سفره كما هو مرفه في حضره .
 وإذا اعتمد الفقراء على ركوب الحمير والخيول والبغال والجمال في تنقلهم فالأغنياء كانوا في الشرق والغرب يركبون المركبات والحفلات والموادج لا يزعمهم شيء .
 كأنهم في غرفة من غرف بيوتهم هيئت لهم فيها جميع موجبات الراحة ،
 فتقل لهم أدوات مطابخهم وموائدهم وفرشهم ويحمل لهم البطبخ والفاكهة . ومن
 الملوك والأمراء في الشرق من كانت تحمل لهم على المطايا مساكب البقول
 والخضراوات يتمدها خدامهم بالري والتربية في الطريق حتى يصيبوا منها ما طاب لهم
 في إباته ، ومنهم من كان يحمل له الثلج من مئات من الأميال ، لئلا يضيّقوا
 بالقيظ ، ويبتلملوا بالحرارة ، لا يختلف عيشتهم في السفر عما كانوا ينعمون به ،
 لو كانوا في قصورهم في المدن .

ولقد كثرت الفنادق في الغرب منذ قرون ينزلها الأغنياء على الأكثر .
 وفي فارس كانت تتوفر للسائح الموسر كل ضروب الراحة لأن الدولة كانت
 تنقل أوامرها مع البريد على الخيل والبغال ، فأقامت محطات بتوفر فيها ما يقتضي
 للمسافر من أنواع النعيم . وأشبهت هذه المحطات الأديار التي كثرت في أوروبا
 خلال القرون الوسطى ، وكان يقصدها السياح فتطعمهم وتؤويهم فإن سمحوا لها
 بشيء قبله وإن لم يعطوها لا تطالبهم . بهذا كان انقضاء بتغلبون على قطع
 المسافر ، وكانت بما لا يتصوره عقل أبناء هذا الزمان . ومعظم هذه المراحل
 الطويلة كانت في قفار وصحراوات لا ماء فيها ولا كلاً ولا حيوان ولا إنسان .
 كان ابن المغرب الأقصى إذا نوى الحج يقضي حوله كلاً للوصول إلى
 الأرض المقدسة والعودة منها في البر أو في البحر . واليوم تشهد أبعد المسلمين
 عن الحجاز داراً لا يصرفون أكثر من أسبوعين في السيارة أو الطائرة . وهذا
 من فضل أوروبا وأميركا على البشر بما اخترعت عقول علمائها وأبدعت قرائحهم .

قيل انه بلغ عدد المصطافين في لبنان في صيف ١٩٥١ أربعة الف مصطاف ،
وقدر ما أنفقوه على نفقته في مصر . وقد تبنيت الحكومة اللبنانية بنقل المصطافين
بحافاً في البحر والجو ذهاباً وإياباً . وما كان هذا الاقبال على الاصطياف عظيماً
في جبال لبنان الا لأن اللبنانيين كانوا يستمدون لاتقان صناعة الفنادق والمطاعم
وما إليها ، منذ أكثر من نصف قرن ، وما أتى به اللبنانيون من أموال المهجر
صرفوا جانباً منه في انشاء البيوت وتنجيدها واقامة الفنادق على اختلاف درجاتها
ثم حملوا حكومتهم على أن تعيد لهم الطرق ، وتعي كل ما يعود على المصطافين
بالراحة . وكان من توسع مكان الأقطار المجاورة في فهم مدلول التمدن
وادراك قيمة الحياة والصحة ما زاد به الاقبال على الاصطياف .

من أبرد ما يبدو على لسان بعض المتنطعين قولهم في الحفلات العامة اذا خطبوا :
« أحييكم باسمي واسم أبناء وطني » وهو ما وكل اليه أبناء وطنه فقط ان ينوب
عنهم في قول ما يقول ، وربما كانت أمته لا تعرفه ولا توافقه على فكره
ولا على النيابة عنها ومنهم من يبلغ بهم التهور فيا لبس لهم صوت فيه أن يحبوا
من يحاول ان ينفقوا عليهم باسم العرب أو باسم أهل الاسلام كافة ، وفي هذا كل
الرقاعة والسماجة .

محمد كرد علي



معجم ما استعجم

تأليف : ابي عبيد البكري الأندلسي للتوفي سنة ٤٨٧ هـ

وتحقيق : مصطفى السقا

وطبع : لجنة الترجمة والتأليف والنشر سنة ١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م

صدر الجزء الرابع من هذا الكتاب القيم ، ويشتمل على حرف « الكاف » وما بعدها من الحروف ، ويحوي فهارس شاملة ، لما فيه من اسماء البلدان والمواضع ، والمياه والجبال ، والأعلام العامة ، والقوافي ، وجدولاً لبيان بعض الأخطاء التي وقعت في الكتاب ، وتقع هذه الفهارس في أكثر من مئتي صفحة . قام بحقق الكتاب بوضعها وترتيبها ، فزاد الكتاب قيمة علمية ، وسهل الوصول للمراجعين والباحثين الى ما يرومون . وليس القارئ الكريم بحاجة الى تكرار القول عن صعوبة نشر المؤلفات القديمة ، وخاصة ما يتعلق بتحديد المواضع ، ولا الى الاشارة الى ما قام به الأستاذ السقا من عمل ، وما بذله من جهد ، في سبيل اخراج هذا السفر ، اخراجاً مطابقاً لقواعد النشر الحديثة العلمية ، من حيث الجملة . ولا نريد بكتبتنا هذه أكثر من ايضاح بعض ملاحظات لنا على هذا الجزء ، نرى في ايضاحها مشاركة في البحث العلمي البحث ، ومساهمة في التحقيق الذي قام به الأستاذ الناشر .

فأولى هذه الملاحظات :

تحقيق النصوص القديمة يستلزم الرجوع الى مصادرها الأولى ، وهذا الكتاب فيه تقول كثيرة ، من كتب بعضها موجود ، وبعضها مفقود . وبحقق الكتاب - وان رجع الى قسم كبير من الكتب المتعلقة بالمواضع - فاته الرجوع الى كثير

من الكتب الموجودة ، التي نقل منها البكري ، نجاء ما نقله ناقصاً ، أو مشوهاً محرّفاً . لقد أكثر البكري النقل عن الهمداني ، العالم الجغرافي المؤرخ ، والذي طبع من مؤلفاته « صفة جزيرة العرب » والجزآن الثامن والعاشر من « الاكليل » . ونجد فيما نقله البكري عنه ، في هذا الجزء مخالفة للنص الصحيح . ومثال ذلك :

١ - في صفحة ١٢٧٤ : (المَسْجَمُ : هو خزاز الجبل المتقدم ذكره . قاله الهمداني) . كذا - ولكن الهمداني قال هذا القول ؛ في سياق إنطاله ، في « صفة جزيرة العرب » - ص ١٧١ ، طبعة ملر في ليدن وهي الطبعة الوحيدة لهذا الكتاب - : (ديار ريعة ، من العروض ونجد : الدنائب ، وواردات ، وخَزَاز - ويقال فيه خَزَازي - . . . وقد يرى قوم من الجهال ان ديار ريعة ابن تزار كانت من تهامة ، من صُرْدُور وبلد لَمَسَّان ، من عك ، وان تبعاً أقطمهم هذه البلاد ، لما حالفوه ، وهذا من الأخبار المصنوعة ، لأن الملوك أجل من ان تحالف الرعايا ، وانما بنوا هذا الخبر على وهم وهوى ، فقالوا في المسْجَم وهي خَزْزَة : خزازي ، وفي الأنعم : الأنعمين ، وفي الدنابات : الدنائب ، وفي العارضة : عويرض) . باختصار . وتتضح المسألة حينما نعلم أن المسْجَم وادٍ في تهامة ، يصب في البحر ، قرب زَبِيد ، وأنه كان يطلق عليه اسم خَزْزَة ، ويقارب هذا الاسم « خَزَاز » وهو جبل له ذكر كثير في أشعار الجاهليين ، وله يوم من أشهر أيام العرب ، بين العدنانيين والقحطانيين ، ولكن هذا الجبل في عالية نجد ، وقد أورد البكري شيئاً من الأشعار والأخبار الواردة فيه ، وحينما ذكر « المسْجَم » في هذا الجزء قال انه هو « خَزَاز » الجبل المتقدم ذكره ، وبون شامع بين المسْجَم ، الواقع في تهامة ، وخَزَاز الواقع في نجد ، المعروف في هذا العهد ، وسبب هذا الخطأ هو النقل الناقص المتجوز .

- ٢ - ومثال آخر في ص ١١٧١ نقل عن الحمداي أيضا ، يتعلق بمأرب ،
جلته موجود في الجزء الثامن من «الاكيل» الذي طبع مرتين .
- ٣ - ومثال ثالث : لعرام بن الأصْبَغ السُّلَمي الاغرابي رسالة عن «تهامة
وسكانها ، وما فيها من القرى والمياه والجيال ، وما ينبت عليها من النبات»
نقل البكري جأها في كتابه هذا ، وصرح بنقله في موضعين ، في أول الكتاب ،
وفي مادة «رَضْوَى» . وهذه الرسالة قد حققها ونشرها العلامة عبد العزيز
المنيني الهندي ، سنة ١٣٥٢ هـ في «اورنيل كوليج مجازين» التي تصدر في «لاهور»
عن نسخة خطية ، موجودة في «الخزانة السعيدية» في حيدر آباد وكان خليقا
بالأستاذ السقا الرجوع الى هذه الرسالة ، لتحقيق النقول الكثيرة التي نقلها
البكري منها ، ولكن يافتوا الحموي نقل جملها في «معجم البلدان» والسيد
السهودي مؤرخ المدينة ، نقل قسماً كبيراً منها في كتابه «وفاء الوفا في
أخبار دار المصطفى» و «المعجم» و «وفاء الوفا» مطبوعان ، وعدم تحقيق
ما نقله البكري من هذه الرسالة ، سبب كثيراً من الغلط في تلك النقول ،
ففي ص ١٣٧٧ : (وَرِقَانُ : ٠٠٠ من جبال تهامة ، ومن صدر مُصْعِداً من
مكة ، فأول جبل يلقاه وَرِقَان) . وهذا القول من الغلط الشنيع ، (فَسَوْرِقَانُ
جبل لا يزال معروفاً ، وهو بعيد عن مكة ، بينه وبينها بيوتٌ دونها بيوتٌ ،
وليس بأول الجبال التي يلقاها المصعد منها ، والكلام الذي ساقه البكري في
تجديد هذا الجبل ، أخذه من رساله عرام - وان لم يصرح بذلك كعادته
في كثير مما ينقل - ولكن ليس في تلك الرسالة كلمة «مكة» بل كلمة «المدينة»
وهي الصواب ، فجبل ورقان بقرب المدينة ، ولعل كلمة «مكة» سبق قلم ،
أو أن في الكلام نقصاً ، وان صوابه في معجم البكري : (ومن صدر مصعداً
من المدينة الى مكة) . وفي هذه الصفحة مما نقله البكري : (واهل الحجاز
يسمون السُّمَّاق الضمخ ، واهل الجَنَدِ يسمونه العُرْنُن) . وكلمة (الجند)

تحريف لكلمة (نجد) الواردة في رسالة عرّام [صفحة ١٢٧٥ طبعة الميمني في المجلة المذكورة] . وليس لأهل الجند لغة تقارن بلغة الحجاز . وعلى ذكر اللغة أرى ان قول السيد السقا [ص ١٢٧١] : أنطى بمعنى أعطى في لغة اليمن فيه تساهلٌ ، اذ من المعروف ان هذه اللهجة لا تخصّ اليمنيين ، بل يشار كهم بعض العدنانيين من قيس عيلان وغيرهم ، ورباح بن الأشل الذي فسر السقا كلامه غنويٌ من قيس عيلان ، وهذا أبلغ دليل على عدم حصر تلك اللهجة في اليمنيين ، وسكان القسم الشمالي من نجد - حائل وتوابها - في هذا العهد يستعملون تلك اللهجة . وجاء في صفحة ١٣٥٢ : (تأتي من شتّينصير وذرّوة ... وبأعلى كَلْبِيَّة ثلاثة أجيالٍ صفار ، منفردات من الجبال ، يقال لها سَنَابِيك) . و « ذرّوة » و « سَنَابِيك » مما تصحف على البكري ، اذ هما في رسالة عرّام : « ذرة » و « شَنَانِيك » . والبكري هنا نقل كلام عرّام بتصريف .

وثانية الملاحظات :

تقليل الأستاذ السقا من قيمة مطبوعة وستنفيلد ، وثناؤه على مطبوعته ، ففي مقدمة هذا الجزء يقول عن هذه الطبعة : (أرجو ان يكون من ورائها تصحيح لكثير من الأخطاء التي وقعت في تلك الطبعة ... فهرس هذه الطبعة يمتاز بالتفصي الدقيق ... فهرس الأعلام يمتاز بالامتنعاب والاستقصاء كسابقه ، وبأنه لا نظير له في طبعة جونتجن ... فهرس القوافي لبس له نظير في طبعة جونتجن كذلك ، ويمتاز بشموله في دقة كاملة ، أما ما وقع من المؤلف من خطأ ، وكذلك ما وقع في مطبوعة جونتجن فقد أصلحته ، ونهت عليه) هذا سوى ما في مقدمة الجزء الأول من هذا القيل .

للأستاذ السقا ان يصف عمله بالانقان والجودة والشمول والاحاطة ، فهو

أهل لذلك ، وان خرج عن جادة كثير من العلماء الذين يدعون هذا الأمر لغيرهم ، ممن يستطيع الحكم على أعمالهم حكماً نزيهاً عادلاً ، فطبعة جونتجن هي أول مطبوعة انتفع بها الباحثون ، وهي على ما فيها من أخطاء لم يسلم منها مطبوع عربي - على درجة حنة من الصحة والجودة ، وطابعها مستعرب معروف بسمعة الاطلاع ، وتحري الصواب ، ولو لم يكن من فضله الا تمهيد السبيل للأستاذ السقا ، لكنني في عدم النيل من عمله ، ان لم يوجب الثناء عليه . ولعلنا لانهدو الحقيقة اذا قلنا ان كثيراً مما ظنه الأستاذ خطأ في طبعة جونتجن هو الصواب بعينه ، وان في كثير مما ظنه صواباً هو خطأ . ومن الأمثلة مما في هذا الجزء :

١ - في ص ١٣٣ : (وتجتمع سيول العتيق وبُطْحَان وفَنَاء بالزغابة) . وأشار الأستاذ الى ان في طبعة جونتجن : « الزغابة » وقال انه تصحيف ، مع ان التصحيف هو ما اختاره الأستاذ اذ مجتمع سيول تلك الأودية « الزغابة » بالزاي لا بالراء (انظر كتاب وفاء الوفاء ج ٢ مادة « العتيق » و « زغابة » .
٢ - وفي ص ١١٥٠ : « (ضَمَّ الْقَنَانُ لِفَقْصٍ ٠٠) وفي طبعة جونتجن « ضَمَّنَ » وهي الصواب كما في معجم البلدان ، مادة « القنان » .

٣ - وفي ص ١١٤٤ : (ديار سَفَد بن هُذَيْم) . وقال السقا : ان كلمة « بن » ساقطة من طبعة جونتجن والصواب سقوطها ؛ لأن سعداً هذا هَفَنَة عبد حبشي يقال له هُذَيْم ، فظب عليه ، فقليل : سعد هُذَيْم ، وليس هُذَيْم أباً لسعد . (راجع المقنضب من جمهرة النسب مخطوطة دار الكتب المصرية) .

٤ - وفي ص ١٣٢٢ : « الْمِسْلَحُ » : بكسر أوله ٠٠٠ متزل على أربعة اميال من مكة) وفي طبعة جونتجن : (ايام) مكان (اميال) وهي الصواب ؛ قال المحدثاني - في « صفة جزيرة العرب » ص ١٨٥ - : (ومن أخذ الجادة من مكة الى معدن النقرة ؛ فمن مكة الى البستان ٢٥ ميلاً ، ومنه الى ذات عرق ٢٤ ميلاً ، ومنها الى الفصرة ٢٠ ميلاً ، ومنها الى المسلح ١٢ ميلاً) اهـ ملخصاً .

وهذا من أدق ما يحدد بعد هذا الموضع عن مكة ، والظاهر أن كلمة « أميال »
تصحف لكلمة « ليال » .

٥ - وفي ص ١٢٧١ : (مَفْهِجٌ : بفتح اوله ، واسكان ثانيه ، بعده عين
مهملة مكسورة ، وجيم معجمة) . وكلمة « معجمة » لا محل لها وهي مسقطه
من طبعة جونتجن ، اذ « الجيم » لا مشابه لها التي تميز بالاعجام ، اعني لفظة « الجيم » .
وفي ص ١٢٨٥ : (الحَضْرَمِيٌّ وهو عبد الله بن عماد بن سليمان) .
وفي مطبوعة جونتجن (سلمى) وهو الصواب (انظر ترجمة العلاء بن الحضرمي
في الأعلام للزركلي) .

والملاحظة الثالثة :

وقع في هذا الجزء هفوات قليلة ، أذكر بعضها . وتصحيحها :

١ - في ص ١١٥٧ :

ما كان بين الشَّيْطَانِ وَلَقَاعٍ لِنِسَانَا الا مَنَاقِلُ أَرْبَعُ
والبيت بهذه الصفة ، وان كان صحيح الوزن الا انه خرج عن وزنه الصحيح ،
وصوابه : فما كان ...
لنسوتنا

وبعده :

فَجَنَّا بِجَمْعٍ لَمْ يَرِ النَّاسُ مِثْلَهُ بِكَادَ لَهُ ظَهَرُ الْوَرَبَةِ يَظْلَعُ
٢ - وفي ص ١١٨٥ في تعداد اعراض الهمزة - : (الْمَجَازَةُ وَالْمِرْصُ ،
وَحَجَرٌ ، وَالْعَامِيرِيَّةُ) . والصواب : (الْعَمَارِيَّةُ) وهي قرية معروفة بهذا
الاسم ، تقع عن الرياض غرباً ، بما يقرب من ثلاثين كيلاً [كيلومتراً] .
وانظر « صفة جزيرة العرب » ص ١٦٣ وفي « معجم البلدان » هذه المادة .
٣ - وفي ص ١٢٠١ : « وبث رسول الله ﷺ سرية الى مَدْيَنَ ،
أميرهم زيد بن حارثة ، فأصاب سبياً من أهل مَيْثَنَاءَ ، قال ابن اسحاق :

وميناء في السواحل) . وكلمة ميناء تصحيف (مقنا) بالقاف مكان الياء والميم مفتوحة ، وهذا التصحيف ناشئ عن كون القاف باخطة المغربي تنقط بواحدة من تحتها ، ومقنا قربة في ساحل مدينين معروفة في هذا المهد ، بين « ظبا » و « حقل » . وفي عهد الرسول ﷺ كان سكانها من اليهود ، يقال لهم بنو حبيبة ، (انظر معجم البلدان مادة مقنا ، وانظر كتاب الرسول ﷺ لأهل مقنا في كتاب (الوثائق السياسية في عهد الرسالة ، للدكتور محمد حميد الله الآبادي الهندي) .

٤- وفي ص ١٢٣٦ : (ثم تنزل ترريم ، وهي لبني جشم) . وتريم هنا تصحيف (برريم) بالياء الموحدة المضمومة بعدها راء مفتوحة ، فياء مثناة تحتية ساكنة ، فميم . وهو منهل لا يزال معروفًا بهذا الاسم ، قرب جبل (حصن) في عالية نجد ، وثم منازل بني جشم من هوازن قديمًا ، (انظر لتحديد هذا الموضع « صفة جزيرة العرب » ، وفي كتاب لفحة الاصماني ، عن بلاد العرب : (ولم برريم وهم شركاء جشم فيه ، قال الراجز :

تذكرت مشربهم آمن تصائبًا ومن برريم قصبًا مثناة) اهـ

أما ترريم - بالناء المثناة المكسورة فراء ساكنة ، فياء مثناة تحتية مفتوحة فميم - فوضع آخر في شمال الحجاز ، بقرب البحر ، في جهة مقنا ، وهو الذي ورد في شعر كُتَيْبٍ ، وترريمُ بفتح التاء المثناة الفوقية وكسر الراء واسكان الياء - بلدة معروفة في حضرموت .

٥- وفي ص ١٢٤٨ : (قال ابو الصلت الثقفي) . واليت المذكور هنا

في ديوان أمية بن ابي الصلت ، وأميه هو المعروف بالشعر .

٦- وفي ص ١٢٧٠ : (سيحان من جنب) . والصواب (سَنَحَان)

بالتون مكان الياء ، وهي قبيلة لا تزال معروفة ، ويسمى باسمها مختلف من مخاليف

البن (انظر تاج العروس - هذه المادة ، وانظر الكلام على قبيلة جَنْب في كتب الأنساب) .

٧ - نقل الأستاذ السقا في حاشية ص ١٢٧٢ - عن معجم البلدان - ان مَنفُوحَة قرية مشهورة ، كان يسكنها الأعشى وبها قبره . وهي لبني قيس ابن ثعلبة ، نزلوها بعد قتل مسيلمة ، ولا أدري كيف غاب عن الأستاذ ان جملة (نزلوها بعد قتل مسيلمة) لا تنفق مع كونها قرية الأعشى والتي قبر فيها ، اذ الأعشى مات قبل قتل مسيلمة ، وهو من بني قيس بن ثعلبة ؟ وإذن فجملة (نزلوها بعد قتل مسيلمة) لا محل لها .

٨ - وقع في صفحتي ١٢٨٨ و ١٢٧٠ : (وحش خُبَّة) بالخاء ، وهي بالجيم (جُبَّة) منهل معروف في بلاد طيء ، بين بلدة « حائل » و « الجوف » والنصحيف هنا من البكري ، مثل كلمة (الحَزَوَاء) الواردة في ص ١٢١٨ وهي - فيما أرى - (الحَوَرَاء) التي ورد تحديدها في ص ١٣١٠ ، و (المِلْج) في ص ١٣٥٢ . الموضع الذي قال المؤلف انه مذكور في رسم القاعة ، وصوابه (مِلْج) بميم مكسورة بعدها لام ساكنة ، فجيم ، وهو اسم قرية معروفة تقع غرب الأحساء ، في أرض تدعى الجَوَف ، وبقرها قرية تدعى (نِطَاع) . وقد أورد البكري [ص ١٠٤٤] في كلامه على القاعة ، انها تسمى الأجواف ، وذكر قول الشاعر :

طُحُونُ كَمَلْتِي مَبْرَدِ الْقَبْنِ قَعْمَةٌ

يَجْرَعَاء (مِلْج) أَوْ يَجْمُو (نِطَاع)

وقال لعدة الاصبهاني في كتاب « بلاد العرب » : (ثم تخرج من بطن غيرة ، تقع في السَّيَّار ، وفيه اكثر من مائة قرية ، لأفناء سَعْدٍ ، ولاصري القيس بن زيد مائة ، ومن قراها تاج ، قال ذو الرمة :

نَحَامَا لِتَاجٍ نَحْبَةً ثُمَّ إِنَّهُ تَوَخَّى بِهَا الْعَيْنَيْنِ عَيْنِي مُتَالِعٌ
وَعَيْنَا مُتَالِعٌ مِنْهَا ، وَقُرْبَةٌ يُقَالُ لَهَا مِلْجٌ ، وَقُرْبَةٌ يُقَالُ لَهَا نِطَاعٌ ،
قال المصباح :

إِنْ تَكْ دَهْنًا ظَنَنْتَ عَنْ دَارِهَا عَامِدَةً يَلْمِجٌ ، أَوْ سِتَارِهَا
فَقَدْ تَصَدُّ الْقَلْبَ بِأَحْوَرَارِهَا وَكَفَلَّ يَنْصَارُ بِأَنْصَارِهَا
ومن التصحيف الذي وقع فيه البكري ، كلمة المَوَّي ص ١٣٥٧ التي قال
المؤلف إنها من مياه المَرُوت ، والصواب - كما في « صفة جزيرة العرب »
ص ١٥٣ - وكتاب لفدة الأصماني - ص ٤٧ نسختنا المخطوطة - « أَهْوَي »
بجذف اللام ، وأورد الأصماني فيها قول الراجز :

كَرِيَّةٌ زَوْجَهَا كَرِيَّةً حَلَّتْ بِأَهْوَيَ فَهَوَّى هَوِيَّهَا

٩- وفي ص ١٣٣٥ - عن النمرة : (ماءة في ديار بني تميم) ثم أورد
المؤلف بيتاً للراعي النميري ، عقبه بقوله (فذلك ان حَقِيلًا من ديار بني تميم) .
وكلمة (تميم) في الموضعين تصحيف لكلمة (نمير) قبيلة الراعي ، وحَقِيل جبل
في بلادهم قال فيه الراعي :

وَأَفْضَنَ بَعْدَ كُظُومِ بْنِ يَجْرَفٍ مَنْ ذِي الْأَبَارِقِ ، إِذْ رَعَيْنَ حَقِيلًا

١٠- وفي ص ١٣٦٥ : (واقصة ماء لبني كليب) وفي الحاشية نقلاً عن
المعجم : ماء لبني كعب ، وكليب وكعب أصلٌ منهما (كلب) . اذ واقصة
هي الى بلاد كلب أقرب منها الى بلاد هاتين القبيلتين ، وقد ذكر بعض المتقدمين
أن واقصة لبني أسد ، وبعضهم ذكر انها لطية ، وأسد وطية كانوا مجاورين لـ كلب .
١١- وفي ص ١٣٩٨ : (بِلْقَيْس بنت هَدَّاد بن شَرَح) . وهداد صوابه

ما نقل الأستاذ في الحاشية عن الجزء العاشر من الأكليل (الهدهاد) وأما شرح
فهو (إِيْلِي مَرَح) كما حقق ذلك الدكتور نبيه أمين فارس في طبعته الجزء
الثامن من « الأكليل » ص ١٩ . وقد ورد هذا الاسم في المؤلفات التاريخية
بصور مختلفة - ال شرح - البشرح - الى شرح - الشرح .

١٢ - وفي ص ١٤٠٣ : (صَيَد بن هَمْدَان) والصواب : (صَيَد من هَمْدَان) . اذ الصيد - وقد ورد تعريفها وتكثيرها - من ولد عَسْر بن جُشَم ابن حاشد ، وحاشد من همدان (انظر نسب الصيد في الجزء العاشر من الاكليل وانظر الجزء الثامن منه ص ٨٠) .

هذا ما أردت يانه من ملاحظات وتصحيحات تتعلق بهذا الجزء ، غير مستوعب ولا متقص ، ولا متعرض لأغلاط المصنف ، كقوله : (حُنَيْنين وادي الطائف) ص ١٣٧٠ (كَدَاه جبل مكة هو عَرَفَة بينهما) ص ١١١٧ (المَرْوَة جبل بمكة معروف ، والصَّفَا جبل بإزائه ، وبينهما قُدَيْد ، ينحرف عنها شبةً ، والمُسَلَّل هو الجبل الذي ينحدر منه الى قُدَيْد) ص ١٢١٧ - وأمثال هذا من الخلط في تحديد المواضع ، ولا لأغلاط الطبع مثل كلمة (مُقْتَمِد) ص ١٣٣٨ التي صوابها (مقتر) و (قَج) ص ١٣٥١ وهي (فح) ، لأن تصحيح هذين النوعين من الخطأ - أغلاط المصنف وأغلاط الطبع - يحتاج الى تطويل قد لا تنفع مثل هذه الصحيفة له ، ولأن من يُعنى بالبحث في تحديد المواضع القديمة من العلماء ، الذين لم من سعة الادراك ما يمكنهم من التثبت والتحقق ، والوصول الى الصواب ، حينما يريدون الاستفادة من هذا الكتاب القيم ، الذي أشارك حضرة محققه في قوله : (إني لمفتبط اذ أقدم معجم ما صنعهم ، بمد اتمام طبعه ، في هذه الصورة الى العلماء والباحثين في الثقافة العربية ... ليحلوه من خزائنهم محل الصديق الوفي ، بفرغ اليه في التماس العمون والرأي ، اذا أوجن ليل الشبهة ، وغامت سماء الشكوك وخاصة فيما يتعلق بالجزيرة العربية التي هي الوطن الأول للإسلام والعرب والعروبة) .

حمد الجاسر

م (٤)

www.alukah.net

قصة جزيرة قوصرة العربية

- ٢ -

الدجن بقوصرة :

يظن الواقف على هذا الكلام من تاريخ ابن خلدون أن آثار الاسلام بعد ذلك انقطعت تماماً من تلك الجزائر - ولا سيما في قوصرة التي نبعت عنها هنا بصورة خصوصية - والواقع أن الأفرقيين لم ينقطعوا عن تلك المستعمرات ، ولم يتركوها ، بل استمروا على الإقامة بها والتردد عليها مدة الدولة الحفصية . وقد تقدم لنا ما وصفها به ابن فضل الله العمري في القرن الثامن للهجرة ، حيث قال : « وبها جماعة من المسلمين تحت الذمة على مقرر لم » . ومثله ما رواه ابن صبيح الفرناطي المعاصر لتلك الحوادث ، حيث يقول : « وهي للمسلمين تحت عهد فرنج صقلية » ، وهو لا . المسلمون اخاضعون لحكم الأفرنج كانوا يعرفون في بلاد المغرب - وخصوصاً في اسبانيا - باسم المدجنين (Mudejare)^(١) .

ويستفاد من خبر ساقه ابن ناجي عرضاً أن جزيرة قوصرة - في أوائل القرن التاسع للهجرة - كان يقطنها المسلمون والنصارى معاً ، وأنها كانت خاضعة لحكم نصارى الاسبان ، وأن للمسلمين المقيمين بها قاضياً ينظر في شؤونهم الدينية وأحكامهم الشرعية ، وأنهم كثيراً ما كانوا يختلفون الى صرامي افريقية ، وبالخصوص على مدن الساحل الشرفية ، وهي سوسة والمهدية وصفاقس وقابس وجزيرة جربة ، فيما ذكره ابن ناجي . وبتبين من كلامه أن العلماء كانوا ينكرون

(١) أطلق نصارى الاسبان اسم (Mudejare) المحرف عن كلمة « مدجن » على من أقام تحت حكمهم من المسلمين في الجهات التي اقتكوها من الأندلس .

على هؤلاء المسلمين رضاهم بالإقامة تحت حكم الكفار وعدم هجرتهم الى بلاد الإسلام ، واليك عبارة ابن ناجي بنصها ^(١) : « وجرى لي ، وأنا قاضي بجزيرة حدود سنة ٨٠٠ هـ (١٣٩٨ م) - أن قدم لي رسم فيه شهادة قاضي قوصرة بذكر خق شهود من علمه ، فطلب مني المعارض أن أوقع على خطه ، فلم أتمكن صاحبه من ذلك لأنهم (أي مسلمو قوصرة) قادرون على التمثيل في الخروج منها ، وربما يخرج بعض من فيها ويعود اليها ، وهم تحت حكم الكفار » .
ويؤيد ذلك أيضاً الفتوى الصادرة من عالم تونس في وقته - الإمام البرزلي - التي يقول فيها ^(٢) : « ومثله عندنا بافريقية أهل قوصرة ، فإنها تحت إيالة أهل الكفر ، وقد اختار بعضهم الإقامة بها ، فمن غلب على أمره منهم فله مندوحة وليست بجزيرة في حقه لأنه كالمكره ، ومن كان باختياره فهو جرحه وحكم ماله يجري على ما سبق ، وهم - أي مسلمو قوصرة - ونحوهم من أهل الأندلس يسمون بالدجن » .

نظام الحكم بقوصرة :

لم تقف في المصادر التاريخية التي لدينا على نص يفيد ما كانت عليه هيئة الحكم ونظام الادارة بالجزيرة ، مدة الاستيلاء العربي . أكان فيها حاكم بانفراده

- (١) راجع شرح رسالة ابن أبي زيد (طبعة مصر ١٣٣٢ ، ص ٤٠٦)
تأليف القاضي أبي القاسم بن ناجي القيرواني المتوفى في رجب سنة ٨٣٩ (يناير ١٤٣٦ م) .
(٢) راجع « للميار » للونشريسي ، طبعة قاس ، سنة ١٣١٤ ، ج ٢ ، وكذلك « جامع مسائل الاحكام » خط بمكتبتي ، تأليف أبي القاسم محمد بن احمد البرزلي متفي تونس المتوفى سنة ٨٤١ هـ (١٤٣٨ م) . وأقول بالنسبة إنه لو أمكن استتراء للوثائق المحررة في الفتاوى ومسائل الفقه وفروعه خلال القرن الثامن والتاسم والمشر بالأقطار المغربية - تونس والجزائر والمغرب - لتيسر اخراج مالا يحصى من مسائل التاريخ الصحيح بالوثائق الثابتة عن أخبار المغرب والأندلس ، وبخصوص علاقته ببلاد الافرنج وجزائر البحر المتوسط ، ونحن في حاجة أكيدة الى ذلك لفقدان ما يعتمد عليه في هذا الشأن من كتب التاريخ العربي .

من لدن الدولة الافريقية ، أم كانت راجعة بالنظر الى والي مالطة أو صقلية ؟
وهذا مما لم نعرفه من الأنباء الواصلة إلينا .

ولا خفاء أن الأمراء من بني الأغلب كانت لهم عناية تامة بممتلكاتهم ،
واهتمام خاص بسيرها وعمرانها وتقدمها ، فقد كانوا لا يتخلون عن تفقدها
بأنفسهم من حين إلى آخر ، ومهما مست الحاجة إلى ذلك . وقد يفيدنا التاريخ
أن الأمير محمد الثاني - الملقب بأبي الفرائق - ركب البحر مرة من صرغاً صوسة
إلى جزيرة قوصرة ، وأقام بها بضعة أيام للكشف عن أحوالها ، ثم عاد إلى القيروان
عاصمة ملكه . ولا شك أن غيره من أمراء تلك الأسرة كانوا يقصدونها ، كما كانوا
يزورون مالطة وصقلية ، للوقوف على حالة البلاد والاستماع إلى شكاوى الرعايا .
وفي اعتقادي أنه كان لقوصرة عامل مستقل ، ينظر في شؤونها الإدارية
ومصالحها الحربية والاجتماعية ، كما كانت لها قاض شرعي مستقل يقضي بين
سكانها المسلمين في أمور دينهم وأحوالهم الشخصية تنصبه حكومة القيروان
أو المهدية ، وكذلك كان الشأن في بقية الأصقاع العربية المنقطعة عن العدو .
ولما انفصلت قوصرة عن حكم الاسلام صار مسلمو الجزيرة هم الذين ينتخبون
من بينهم قاضياً ، ترضيه حكومة النصارى وتمضي أحكامه الشرعية ، على
ما يستفاد من كلام ابن ناجي . ودام الأمر على هذا النظام إلى القرن التاسع
من الهجرة - وربما إلى القرن العاشر - غير أننا لا نعلم بعدها ما كان مصير
المسلمين المدجنين بها ، ولا شك أنهم بتوالي الزمان وانقطاع المدد المادي والمعنوي
عنهم من افريقية العربية - لعجز الدولة الحفصية في آخر عهدها - انتثر عقدهم ،
وتبدد شملهم بالتدريج إلى أن آل أمرهم إلى الاضمحلال .

والظن الغالب - البالغ درجة اليقين - أن الاصبان في مدة تغلبهم على قوصرة
عفوا على بقايا المسلمين بها ، وألزمهم التنصر قسراً ، مثلاً فعلوا مع اخوانهم
المدجنين - في الوقت نفسه - في أصقاع الأندلس ، ولا غالب الا الله !

جزيرات عربية أخرى :

وما ذكرناه عن أحوال سكان قوصرة في مصر الحفصي يمكن أن يقال مثله عن سلمي بعض الجزائر الصغيرة الأخرى ، مثل لندوشة (Lampedusa) ونغوشة (Linosa) في الشرق من البلاد التونسية ، والتابعتين في النظر الى قوصرة . وقد يجد الباحث عنهما نتفاً مبشرة هنا وهناك أثناء المطالعة في المطولات ، فقد خصها ابو عبيد البكري في « مسالكه »^(١) بمجرد الذكر ، ورسمها أمام جزيرة قرقة التونسية - يعني في شرقها - وهو الواقع ، وأثبتها الشريف الادريسي في تزهته بقوله^(٢) :

« وأما جزيرة لندوشة فبينها وبين أقرب بر من افريقية حيث قبودية (مكان بلد الشابة الآن) مجريان ، وبها مرمى مأمون من كل ربح ، ويحمل الأصاطيل الكثيرة . وهذا المرمى منها في اللباح (أو : الباس وهو ما بين الغرب والجنوب) ؛ وليس في جزيرة لندوشة ، شيء من النار ، ولا من الحيوان البري . وجزيرة نغوشة في الشرق مع الشمال يسيراً ، ثلاثون ميلاً ، وليس بجزيرة نغوشة مرمى ولا شعراء ، والإرساء بها يكون مخاطرة . »

وهذا الوصف - فيما رأيت - أشمل ما وقع لجغرافي العرب عن تبتك الجزيرتين الصغيرتين .

وقفت على فتوى للامام ابي عبد الله المازري ومنها^(٣) :

- (١) ص ٨٥ ، طبعة باريس ، ١٩١١ .
 (٢) مجموعة أماري ص ٢٤ ، ٢٥ ونزهة الأنظار لمقديس الصفاقي طبعة تونس ج ١ ص ٥٣ .
 (٣) الامام المازري هو محمد بن علي ينسب الى مازرة (Mazzara) من مدائن صقلية ، وتوفي بالهيدية ٥٣٦ (١١٤١ م) . وقبره بالمنستير ، وله مصنفات كثيرة في علوم الشريعة وغيرها ووردت التتوى للذكورة في « المييار » للونشريسي ج ٨ ، وفي ترجمته ترجمة وافية جامعة في رسالة وضمتها في ذلك .

«وسئل الامام المازري عمن دفع لرجل مالا قراضاً لیسافر به الى المشرق وكتب بينهما وثيقة ، واشترى الرجل بضاعة وحملها في مركب ، فلما وصل الى جزيرة ابدوشة انفتح المركب وخشي عليه الفرق ، فرد صالماً الى المهديّة ، ورفع البضاعة الى رب المال فطالبه بالوثيقة ٠٠٠ » ، الى آخر ما بالفتوى .

ومن هنا يستفاد أنّ السفر بين المهديّة والاسكندرية بالسفائن الشراعية - في القرن السادس للهجرة - كثيراً ما كان يقع على طريق لبدوشة هذه .

قوصرة والا تراك :

ولقد الى أخبار قوصرة بالخصوص ، فانها بقيت تحت حكم الاسبان الى أن ظهرت سلطة الأتراك العثمانيين في البحر المتوسط ، وطمعت نفوسهم الى الاستقلال بالسيادة عليه .

ولقد أثبت التاريخ أن الزعيم التركي طورغود باشا - ويسميه التونسيون درغوث - افتتح قوصرة باسم السلطنة العثمانية ، وافتكها من يد الاسبانيين ، بعد ما استولى على مرسى المهديّة الحصين ، وذلك في سنة ٩٦٠ (١٥٥٣ م) ، وقد اتخذها مقلاً مأموناً لسفائنه الحربية .

وقد دامت قوصرة في تصرفه مادامت المهديّة تحت يده ، ثم استرجعها طائفة الاستتارية المعروفين بفرسان مالطة ، فبقيت تابعة لحكمهم زماناً طويلاً الى أن وضع الانكليز أيديهم على جزيرة مالطة ، وألحقوها بامبراطوريتهم الكبرى سنة ١٢١٥ (١٨٠٠ م) .

واتا لا ندري - كما قدمنا - أكان يقيم بقوصرة في تلك الأثناء شرذمة من بقايا المسلمين ، أم أنهم أجبروا جميعاً على التمسك من لدن الاسبان ، ثم من فرسان مالطة ، وهو المحتمل الغالب على الظن . والأمر الذي نعلمه يقيناً هو أن لغة التخاطب بين سكّان تلك الجزيرة كانت العربية ، وأن لباسهم - الى عهد غير بعيد - كان لباس مسلمي البلاد التونسية .

قوصرة واللغة العربية :

وبين أبدينا من ذلك العصر رحلة حررها شاب فرنساوي اسمه جان بوني (Jean Bonnet) ، أمره القمصان التونسيون ، وأقام مأسوراً في تونس خلال سنتي ١٦٦٩ و ١٦٧٠ م (١٠٨٠ و ١٠٨١ هـ) ، يعني على عهد الأمراء المراديين . ثم أمكته الفرصة من الفرار من مرمى صومة على سفينة شراعية ، فعاد الى وطنه فرنسا ، بعد أن اجتاز على جزيرة قوصرة ^(١) .

يتلخص من هذه الرحلة المفيدة أن ذلك الشاب - وكان رباناً باحدي السفائن - لما حل في جزيرة قوصرة بعد فراره ، وهي أول ما وصله من أرض الافرنج ، لم يقدر على التخاطب مع سكانها - وان كانوا نصارى - الا بواسطة ترجمان مالطي ، اذ كانت اللغة التي يتكلم بها أهل بنطلارية تشبه كثيراً اللهجة الجارية بين سكان جزيرة مالطة . ومن هنا يتضح لك أن العربية ظلت مستعملة بين قاطني قوصرة الى أوائل القرن الثاني عشر من الهجرة ، بل انها كانت لسان تخاطبهم الوحيد لا يعرفون غيرها من اللغات الافرنجية . ولا شك أن لهجتهم هذه لم تكن بالعربية الخالصة ، بل كانت لهجة أصولها عربية محرفة كثيراً ، في مستوى ما يتكلم به اليوم في جزيرة مالطة أو أقرب بقليل منها الى الفصحى ، بالنظر لقرب ما بين قوصرة وبلاد تونس العربية . وليس أدل على ذلك من أعلام الأماكن وأسماء البقاع الموجودة في قوصرة ، فانها عربية بنسبة ثمانين في المائة . أذكر أن بعض المعارف الايطاليين قال لي ذات يوم : - أليس من العجب أن تبقى أعلام البقاع في قوصرة عربية بهذه النسبة العظيمة ، بعد ما امتلك

« (١) راجع الرحلة للخنونة Relation de L'esclavage d'un marchand de Cassis à Tunis » Rédigée par A. Galland, Paris 1810.

وكذلك الفصل للنشور في مجلة الكامنة . « Un Marchand provençal esclave » à Tunis par P. Grandchamp « La Kaheena » , Tunis, oct. 1938 P. 134.

النصارى اللاتينيون ناصية الجزيرة ما بقرب من سبعمائة عام ؟ فقلت له : لا غرابة البتة في ذلك لما نعلم من قوة استيلاء العربية على النفوس ، واستحواذها على القلوب استحواذاً لا ينازعها فيه فاتح ولا يشاركها في سلطانه متغلب . وليس الأمر مقصوراً على قوصرة وحدها ، بل هو مشاهد في سائر الأقطاع التي شاء القدر أن يمتلكها العرب ، كصقلية والأندلس ومالطة وسواها كثير .

أسماء البقاع :

وانورد هنا - على سبيل التذكير فقط - بعض الأعلام العربية لأسماء أماكن موجودة الآن بقوصرة ، فمن ذلك :

المرسى (Limarse) .

بيت المرسى - وترسم الآن بالحروف اللاتينية (Beccimursa) كما ينطق بها السكان .

الشرف (Scirafe) - وهو مكان مرتفع .

جبل (Gibeale) - اسم لأرفع مكان بالجزيرة .

جبل أحمر (Gelkhamar) .

الشمالية (Cimillia) - لمكانها من الناحية الشمالية .

المنية (Muina) - بمعنى الجنان ، وهو كثيراً ما يقع في الأعلام الجغرافية في الجزيرة .

الحمة (Khamma) - قرية صغيرة بها عين حمية من آثار البرقان الموجود في وسط الجزيرة ، ومن أجلها سميت هكذا .

كدية الحمة (Cuddia di Khamma) .

حروشة (Caruscia) - وهي اسم لأرض متجربة على معنى ما نسميه بالحرش في تونس .

- سلام (Sollume) — أي السلم ، وهي طريق متصعدة في الجبل ونطقهم
 سلام — بزيادة الواو — يشبه تماماً ما باللهجة التونسية .
- خربة (Harbe)
 - زيتة (Zita)
 - كدية (Cuddia) — لكل مكان مرتفع ، وهذه التسمية تدخل على
 جملة من الأماكن .
 - الحجر (Khagiar)
 - أبو قرة (Buccura) — والمظنون أنه اسم علم في الأصل أطلق على المكان .
 - كدية ابن سلطان (Cuddia Bonsultan)
 - طريق ابن سلطان
 - بوجاير
 - بني قائد (Beni Cued)
 - بويرة (Buria) — تصغير بئر مع التأنيث .
 - بلاطة (Balata)
 - طريق الريح
 - خنقة ؛ وينطقونها حنكة (Hanaca) — اسم مضيق بين جبلين .
 - الغلقة (Le galche)
 - كدية التنورة (Cuddia attalora)
 - سداري (Sidere)
 - وسواها كثير جداً ، وربما عد بالآلاف ، اقتصرنا على جلب المهم منها .

مفردات عربية:

ولو أردنا احصاء الكلمات المرية المستعملة الى الآن في اللهجة القوصرية الايطالية ، للزمنا افراد معجم صغير مستقل ، لذلك نكتفي هنا بالاشارة الى شيء منها :

زيب (Zebibo) - للفتب الخفف .

يفرة (Bifra) - لبا كورة التين (وينطقها التونسيون بالثاء بدل الفاء) وكلاهما صحيح ، والأصل في هذه الكلمة يوناني مغرب .

سواقي (Scivachi) - جمع ساقية ، محل مسيل الماء .

دكانة (Duccana) - وهي المصطبة .

سكارة : القفل (وينطقون بها سكاله) ، وقد يستعملون مثلاً جاريًا الى اليوم في اللهجة التونسية وهو قولهم « كيف يبب كيف سكاله » ومعناه : الباب يساوي القفل في الرداءة .

والقوصريون يعرفون شخص جحا الذي تنسب اليه الحكايات الطريفة ، وهم يلفظون اسمه جفا (Giufa) بقلب الحاء فاء ، كما هو جار في بعض كلمات أخرى ، وينسبون اليه حكايات ونوادر مضحكة .

لبلاب : اسم نبات معرض معروف .

داموس (Damusso) ويعنون به كل بناء مقنود (مقوس) . كما هو في التونسي .
سامي (Sessi) - تحريف أساس . ويعنون به كل بناء مقام من الحجارة الكبيرة ، ويلاحظ أيضاً أن هذه الكلمة يستعملها كثير من سكان جزيرة سردانية للدلالة على بناءات قديمة منتشرة في بلادهم .

خفاف ، حجر من نوع اللخاف الذي يطفو على الماء .

بلاطة : حجارة كبيرة منبسطة (Balata) .

شمشة : تصغير شمس .

حربوشة : القطعة من العجين تدور ثم تاتي في الرمد السخن حتى تسوي ،

وهو ما يسحق عند فلاحينا بخبز الملة .

مطيرة : القطعة من الأرض تعد للحرارة .

سبالة : السيل الذي يشرب منه الماء .

حفيان : وينطقون بها حفيانو (Afiano) يصفون بها الرجل اذا كان

حافيا من غير حذاء .

وسوى ذلك كثير من الكلمات العربية الأصل ، وقد يصعب الوصول الى تحقيقها وارجاعها الى أصولها . وفيما ذكرنا كفاية لمن يريد أن يثبت أن العربية دأبت مستعملة في قوصرة الى عهد غير بعيد ، كما قدمنا . ثم طفت عليها الايطالية - أو بالتحقيق لمجة صقلية - لما آل أمر هذه الجزيرة الى حكومة رومة ، وبقيت كلمات عربية مندسة في المفردات التي لم يصلها التعليم والتقليد والحضارة الأوربية .

العادات والتقاليد :

وما قيل في لغة التخاطب يقال في العادات والتقاليد ، فقد ظل سكان قوصرة الى زمان ليس بالبعيد مقلدين أهل افريقية في عاداتهم العربية وأنظمتهم الاجتماعية وتقاليدهم في كثير من مظاهر الحياة . فقد كانوا يلبسون الشاشية التونسية الحمراء (الطربوش المغربي) ، وبكتسون (القشاية) الصوفية من صنع الساحل التونسي وجزيرة شريك ؛ ثم بانقطاع الملائق التجارية بينهم وبين تونس - من نحو مائة سنة أو أقل من ذلك - تحولوا الى لباس البرنيطة والأكسية الايطالية ، وكانوا لا يعرفون من الأواني والماعون الا ما يرد عليهم من فخار جزيرة جربة ، كالجرار لخزن الزيت ، والجواني للخمر ، والقلال وأكواز الماء ، وهم جرا . وكذلك كان نساؤهم الى آمد قريب يمتنعين ، واذا خرجن من البيوت

لصل ما أو الى الكنيسة ينعجرون بلعاف أسود ، ولا يتركن ظاهراً من وجوههم
الا الميون ، وكأنهن قلدن في اتخاذ ذلك الازار الأسود الذي ترتديه نساء
الساحل التونسي عند الخروج من بيوتهن ، لا سيما من بينهن نساء مدينة صوسة .
وخلاصة القول أن غالب العادات العائلية والاجتماعية بقوصرة كانت تمت الى
التقاليد العربية بصلة .

ولطالما وقع العثور في سواحل قوصرة وفي بربتها على نقود عربية مضمومة
بافريقية ، في أيام الأغالية والعيندين وبني حفص ، كما أن البحوث الأثرية (١)
كشفت بها عن عدد لا يستهان به من الكتابات العربية المنقوشة على الحجارة
وألواح الرخام (مشاهد) كانت موضوعة على قبور أعيان من سكانها في العهد
الاسلامي ، مما يدل على اندماج هذه الجزيرة في بوتقة المدنية العربية كغيرها
من البلاد .

* * *

يتلخص مما تقدم أن كثيراً من عادات أهل قوصرة في زيهم وكلامهم ،
وطرائق بنائهم وفلحهم للأرض وصناعتهم اليدوية ، يرجع بأصله الى التقاليد
التي ورثوها عن أبناء افريقية الاسلامية ، كما ورثها غيرهم عن العرب أيضاً من
مكان صقلية ومالطة وسواهما من جزائر هذا البحر .

وهكذا جرت سنن الكون في عملها الفعال منذ انبلج صبح الحضارة على
ضفاف البحر المتوسط ، فقد حملت رياحه وأمواجه القادية الراشحة بين جوانبه

(١) راجع بحث الأستاذ أورسي (Orsi) في مجموعة ١٨٩٩ ، ص ٤٥ وما بعدها ،
ج ٩ Monumenti Antichi dep Lincei ، وكذا بحث الامة ميكالي أماري ،
طبع بلرم ١٨٧٩ ، وعنوانه le epigrafi Araboliche di Sicilia ص ١١٨ وما بعدها .

بذور مدنات مختلفات تأتي بها تارة من المشرق الى المغرب ، وتنقلها أخرى من الجنوب الى الشمال طرداً وعكساً ، وتمزجها بالتراب والرقاب حتى اذا ما تألف منها هيكل متجسم الظاهر ، متماسك الأجزاء ، انسجمت في ثناياه مؤثرات خفية اندست في باطن التربة وفي أعماق النفوس ، وسرت فيها صربان الماء في العمود ، وجرت جريان الدم في الشرايين ، صنعة الله ، ومن أحسن من الله صنعا !

فمن تلك البذور ما يضمحل بعد حين ويندثر لحقارته وعدم صلاحيته ، ومنها ما يظل حياً نامياً دهر الداهرين لمتانة في أساسه ، وقوة في وقعه ، وفائدة في بقاءه ، مصداق قول الله تعالى :

« فأما الزبد فيذهب جفاءً ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » .

حسن حسني عبد الوهاب



سفر خالد بن الوليد

من العراق الى الشام

- ٢ -

متى ترك خالد العراق ؟

قلنا ان الروايات ، ما عدا رواية واحدة ، لم تذكر تاريخ سفر خالد من العراق .
روى المدائني ان خالداً شخص من الحيرة في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة
وقد أيد ذلك البلاذري ولعله روى الخبر من المدائني . وأورد الذهبي ان كتاب
ابي بكر جاء خالداً في اوائل سنة ثلاث عشرة . وهناك روايات عديدة تقول
ان أمر ابي بكر وصل الى خالد بعد منصرفه من حجة سنة اثنتي عشرة ، وهذا
ينطبق على ما ذكره الذهبي . وما دام خالد تكتم في حجة هذه فلا بد أنه ترك
مكة بعد الحج وتوجه توجاً الى العراق ، ولا ينطبق أن يصل اليه قبل انقضاء
أكثر من نصف شهر . لهذا لا يمكن أن يصل أمر أبي بكر اليه الا في المحرم
سنة ثلاث عشرة .

علما بما تقدم أن خالداً أغار على الفسانيين بمرج راهط في عيد فصحهم
أي في يوم ٢٤ نيسان سنة (٦٣٤) وهذا يصادف يوم ١٩ ربيع الأول سنة (١٣) .
واذا فرضنا أن أمر ابي بكر وافى خالداً في منتصف المحرم أو في أواخره ،
واذا علما أنه قضى بعض الوقت ليتأهب للسفر ، إذن لا يشرع بالسفر الا في
نهاية شهر المحرم او في أوائل شهر صفر ، أي قبل منتصف شهر آذار
سنة ٦٣٣ أو بعده .

- ٥٤٢ -

أما المدة التي قضاها في السفر فلا يمكن معرفتها قبل معرفة الطريق التي سار فيها خالد في سفره الى الشام ، ومعرفة فيما اذا قضى بعض الوقت في الاغارات والفتوح كما جاء في الروايات .

الطريق التي سلكها خالد^(١) :

أشرنا فيما سبق الى أن خالداً أوفد مدداً وغوثاً الى جيش المسلمين في الشام والى أن ابا بكر استخمه في المسير طالباً اليه أن يسرع الى نجدة اخوانه قبل أن يهاجمهم الروم ؛ لهذا يتراءى لنا أنه يختار الطريق الأقصر في سفره . ولا يخطرون على بالناس أنه سلك طريقاً لا ماء فيها والموسم كما علمنا ، ليس موسم شتاء . والطريق الأقصر الذي يربط العراق بالشام هو درب الساعي أي ساعي البريد الذي يقطع بادية الشام من الغرب الى الشرق ويبدأ من دمشق ماراً بقرية ضمير وينتهي بقرية هيت على الفرات . ويبلغ طول الطريق هذه أكثر من ستائة كيلومتر ؛ ولا يوجد فيه الماء الا في أماكن محدودة وهو غير متوفر بها ولا يمكن أن تسلكه جماعة كبيرة . لهذا ينبغي لنا أن نفتش على طريق أخرى يكثر فيها الماء . وهذه الطريق إما أن تكون في الشمال أو في الجنوب ، أي الطريق التي تسير بها القوافل بين العراق والشام . والطريق الشمالية تسلك وادي الفرات حتى (الفراض) ثم تترك الوادي وتوجه الى الشمال الغربي الى (السخنة) ومنها الى تدمر فالقريتين ، فخوارين ، فدمشق . وتبدأ الطريق الرومانية القديمة من الفراض وتمر بالرحبة والسخنة ثم تذهب الى تدمر ومنها تنشب عدة طرق رومانية الى حمص وحماة ودمشق . ومن السخنة تنشب طريق الى الرصافة ومنها الى (صورا) على ضفة الفرات . وطول الطريق هذه من الحيرة الى دمشق أكثر من ألف كيلومتر . وتمر بالحصون التي أقامها الروم على حدود البادية كما تتجاوز قلعة تدمر الحصينة . أضف الى ذلك أن الطريق المذكورة تتجاوز ديار تغلب وهي القبيلة الكبيرة الموالية للروم ومنها العرب المنتصرة .

(١) راجع الخريطة .

لهذا لا يعقل أن خالداً يسلكها لأنها طويلة ، ولأنه لا بد من الاصطدام بالحصون والقلاع . والجند الروماني ومرتزة العرب مرابطون في الخافر وقد يسعى الروم الى ارسال قوة من مراكز أجنادها لسد الطريق بوجه خالد ومنعه من الانضمام الى المسلمين . وما دام المسلمون بحاجة اليه في الشام فينبغي لخالد أن يتجنب ما يؤخر سيره من قتال ومحاصرة حصون وقلاع .

تفصيل الطريق بين العراق والشام :

ذكر ابن خرداذبة طريقين تقطعان البادية بين العراق والشام .

الأول - الطريق من عين التمر الى بصرى وتفصيلها ، من عين التمر الى (الأخديمية) ثم الى (الحفية) ثم الى (الحائط) ثم الى (سوي) ثم الى (الأجيثير) ثم الى (الفريرة) ثم الى بصرى ^(١) .

الثاني - من الكوفة الى دمشق وتفصيلها من الحيرة الى (القططانة) ثم الى (البقعة) ثم الى (الأبيض) ثم الى (الجبة) ثم الى (القلوفى) ثم الى (الرواري) ثم الى (الساعدة) ثم الى (البقيعة) ثم الى (الاعناك) ثم الى (أذرعات) ثم الى (منزل) ثم الى (دمشق) ^(٢) .

لقد ثبت (أليس موصل) في كتابه هذين الطريقين . ثبت الأولى كما يلي ^(٣) :
(الأخديمية) تسمى اليوم (أخديمية) وهي على خمسة ومبشرين كيلومتراً غربي عين التمر . وهو اسم لبئر في شبيب الأخديمية . أما اخفية واخلط فقد تحول اسمها ، واخلط انقلب الى (غدير اخلط) على بعد مائة وعشرة كيلومترات غربي الأخديمية ؛ أما اخفية فهي (خفاية لاهه) على الطريق القديم بين العراق

(١) للسالك والمالك ص (٩٧) .

(٢) » » ص (٩٩) .

(٣) ص (٥٢٦) Arabia Dezerta - Aleys Musil .

والشام غربي غدير الخليط على مسافة مائتين وعشرين كيلومتراً . أما سوى
فذكر موصل ان ابن خرداذبة ذكرها خطأ بدلاً من (قراقر) لأن البيت
الذي أوردته شاهداً هو الذي يذكر تفويض خالد بن الوليد من قراقر الى سوى
بدلالة رافع ، قراقر في أول المفازة وسوى في متنها . ولأن سوى تقع في
الشمال بعيدة كثيراً عن هذه الطريق .

أما الغربية فهي (أم غربيات) على سبعين كيلومتراً غربي قراقر والمسافة
بين أم غربيات وبصرى مائة واربعون كيلومتراً .
وقد ثبت موصل الطريق الثانية كما يلي^(١):

القطقطانة هي قرية (القطقطانة) الحالية ولا تزال مسكونة على بعد خمسة
واربعين كيلومتراً غربي النجف . والبقعة فلم يثبتها . أما (الأبيص) فقد
ثبتت (بنحشم المعزة) وقال موصل ان (غرة) مؤنث (الأبيص) وهو على بعد
ستين كيلومتراً غربي القطقطانة وبالقرب من بئر (المكن) الغزير المياه . ولعل
الحوش هو الجوش وقد وجد موصل في الطريق (خبيرة الجوشية) في نهاية
وادي (عرار) على بعد خمسين كيلومتراً جنوبي غربي الأماكن . ولعل
الجمع هو (غدير الجممان) على ستين كيلومتراً غربي الجوشية . والحوطي
(غدير الخط) على خمسة وستين كيلومتراً غربي ، شمالي غربي الجممان . ويجوز
جبه تهجئة خاطئة لحوض (مجنة) الكبير الذي تجتمع فيه مياه الأمطار ،
وهو على بعد مائة كيلومتر غربي ، شمال غربي الخط . أما القلوفي فوردت
باسم (علوي) في مخطوطة اكسفورد لعلها (عروية العلوية) وهي على
سنة وتسعين كيلومتراً غربي ، شمالي غربي مجنة . والرواري فهو تحريف الدواري
أي (الدوارة) الحالية أو تحريف (الزواري) وهو اسم لبركة ضحلة على ثمانية
وخمسين كيلومتراً غربي العلوية . والساعدة ، يجوز أن تكون منبع (ضعدة)

على خمسين كيلومتراً غربي الدوارة • وتقع الآنك والبقعة في جبل حوران •
والمنزل بين أذرعات ودمشق هو (الكوة) •

وذكر المقدسي في كتابه أحسن التقاويم ثلاث طرق بين العراق والشام (١) •
الطريق الأولى طريق (الكوفة الرهيمة - البختيت - القرائي -
الخنفس - الحشبة - العزيفة - قراقر - الأزرق - عمان) •

وقال : « وأما طريق الكوفة فتأخذ من الكوفة الى الرهيمة ١٢ ميلاً
ثم الى البختيت نهارين ثم الى القرائي مثلها ثم الى الخنفس نهاراً ثم الى الحشبة
مثله ثم الى العزيفة مثله ثم الى قراقر مثله ثم الى الأزرق مثله ثم الى عمان
مثله ٦ الجميع ١١ مرحلة خفافاً •

وفصل موصل هذا الطريق وبين أن الرهيمة قرية على بعد ثلاثين كيلومتراً
غربي الكوفة • وقال ابن البختيت ورد اسمه في مخطوطي برلين واستانبول
(التبريت) وهو على بعد مائة وعشر كيلومترات غربي ، جنوبي غربي الرهيمة
وجاء اسم القرائي في مخطوطة استانبول بدلاً من القرائي وهو غدير القرائي على
تسعين كيلومتراً غربي البريت • وقد انقلب اسم بئر الخنفس الى عمارة الخنفس
وهي خربة في وادي الأبيق على بعد مائة كيلومتر و كيلومترين غربي ،
شمالي غربي القرائي • أما الحشبة فهي بركة (ام إحسية) الواقعة على بعد
مائة وخمسة عشر كيلومتراً غربي الخنفس • لم يعثر موصل على مرحلة العزيفة •
ولا ماء في هذه الطريق في مسافة أربعمائة وخمسين كيلومتراً من البريت
الى قراقر ولا يعثر المسافر على الماء فيه الا بعد هطول أمطار غزيرة •

الطريق الثانية - طريق (هيت - دمشق) : لم يذكر المقدسي اسماء المراحل
في هذه الطريق ولكنه اكتفى بقوله بأنها تقطع في عشرة أيام • فاذا قطع
المسافر في كل يوم ستين كيلومتراً فيكون طولها ستائة كيلومتر ٠٠ يؤكد

(١) المقدسي : أحسن التقاويم في معرفة الأقاليم ص (٢٥١ - ٢٥٢) •

موسل بان هذه الطريق هي الطريق التي تسمى الآن بدرب الساعي الذي كان يريد الهجين بقطعه قبل الحرب العامة الأولى من ضمير الى هيت ماراً ببادية الشام من الغرب الى الشرق . والمسافة من هيت الى (قصير خباز) نحو من خمسين كيلو متراً ومنه الى (الهجرة) أو (المبيجر) مائة وعشرون كيلو متراً ومنه الى (راح) تسعون كيلو متراً وتقع (آبار الملوش) على مقربة منه . ومنه الى (صبع أيار) مائتا كيلو متر ومنها الى ضمير ستون كيلو متراً .

الطريق الثالثة - طريق (الرحبة - دمشق) . لم يذكر المقدمي مراحلها وجاء في مخطوطة استانبول أن مراحلها عشرة . . يبدأ السفر من الرحبة أي قصبة (ميادين) الحالية الواقعة على الفرات جنوبي دير الزور ومنها الى (آبار الجب) على خمسة وثلاثين كيلو متراً غربي ، جنوبي غربي الرحبة ومنها الى (كلبان الهيل) مائة وخمسة وعشرون كيلو متراً في الاتجاه نفسه ومنها الى (كلبان الآيتانية) وهي ذات مياه كثيرة على مائة كيلو متر من كلبان الهيل . والمسافة منها الى ضمير مائة وستة وثلاثون كيلو متراً لاماء فيها . تقطع هذه الطريق في ثمانية أيام . وهناك طريق آخر بين العراق والشام ، تقطعه القوافل التجارية تبدأ من الأنبار مارة بصفة الفرات اليمنى الى الفراض (أي الصالحية) أو الرحبة (الميادين) ومنها الى السخنة فتدصر فالقريتين فدمشق .

وتوجد طريق أخرى توازيها وبعيدة عن ضفة الفرات تبدأ من عين التمر الى (بردان) ثم الى (الحنفى) ثم الى (المصبتخ) ، ثم تقطع وادي حوران في (عقلات حوران) ومنها الى (الرقة) ثم الى (آبار الجب) ثم الى (السخنة) . وثمة طريق أخرى من أقصى الجنوب يربط العراق ببلاد الشام ، تأخذ من الحيرة الى دومة الجندل وتمر بوادي السر (وادي مراحان) وتنتهي ببصرى . وتمر بقسمها الأول بالقادسية و (الفرعاء) و (الليفية) و (الحبكة) و (البريكات) و (قلب صوير) و (مسكاكة) ثم تنتهي بدومة الجندل وتمر بقسمها الثاني بوادي

السر وقد قطعه المنهزمون في معركة الجمل سنة ست وثلاثين هجرية كما جاء في الطبري نقلاً عن سيف بن عمر^(١) وجاء في الرواية :

«أجار عصمة بن أبير التميمي عتبة بن أبي سفيان وعبد الرحمن ويحيى أبناء الحكم بعد هزيمتهم في وقعة الجمل وقال لهم اختاروا أحب بلد اليكم أبلغكموه ، قالوا الشام ، فخرج بهم في أربعمائة راكب من تيم الرباب حتى اذا أوغلوا في بلاد كعب بدومة (دومة الجندل) قالوا (قد وفيت ذمتك) . ولعلمهم مروراً بعد البصرة بنقرة السلطان وحكمة حتى وصلوا دومة الجندل ومنها الى بصرى بطريق وادي السر . ولما تعذر على المراقين من ضباط وموظفين وغيرهم البقاء في سورية بعد احتلال الجيش الفرنسي لها سنة ١٩٢٠ تركوا دمشق على ظهور الابل واجتازوا البادية من ضمير الى كربلاء ومرورا بخفية لاهة وانتهوا بالأخضر . وكان سفرهم في شهر حزيران سنة ١٩٢١ .

ذكرنا الطرق التي تربط العراق بالشام ولنبعث الآن عن الطريق التي سار فيها خالد بن الوليد :

أرسل خالد مدداً وعوناً للمسلمين في الشام وطُلب اليه أن يسرع في النجدة فكان لزاماً عليه أن يختار الطريق الأقصر والأقل خطراً ، كما أنه كان ينبغي له ألا يحاذي في طريقه بالمرور بمناطق تسكنها قبائل معادية وأقيمت فيها مصالح للعدو ولا يجهد خيله لأنه بحاجة اليها في مقاتلته للروم في الشام . ويتضح من الروايات ان قبائل بكر بن وائل كانت مع المسلمين وهي تنزل بادية السماوة من طريق (فيد - الأبلّة) الى أطراف الحيرة ، ولعل الحيرة وأطرافها كانت في المنطقة الفاصلة بين قبائل تغلب وقبائل بكر ويتضح أيضاً من أخبار الرواة أن قبائل تغلب كانت مناصرة للفرس ومقاتلة للمسلمين . والطرق بين العراق

(١) الطبري : الجزء الثالث ص (٥٤٠) .

والشام ، من الأنبار الى الشمال الغربي ، تمر جميعها بديار تغلب ، ثم بديار كلب وبهراء . أما الطريق في أقصى الشمال المارة بتدمر فعليه حصون ومسالخ ومخافر للروم على الحدود أقامها الروم ضد الفرس وضد غارات البدو . وفي الفراض مثلاً ، وتقع على الحدود ، حصان واحد للروم في غربي الفرات والثاني للفرس في شرقيه . وفي قرقيسيا قلعة للروم في الضفة اليمنى . ومدينة تدمر ومدينة الرصافة الواقعة الى شمالها ، مدينتان محصنتان بأسوار ، وقد أقيمت الحصون والمخافر على طول الطريق بين تدمر ودمشق ، منها مخافر أمامية على حدود البادية ومنها حصون خلفية أقيمت في القرى والقصبات وعلى أماكن الماء .

ومن الواضح أن خالداً لا يقدم على السير في طريق ثقل المياه فيه وقد يستطيع المسافر الواحد أو القافلة المؤلفة من بضعة أشخاص أن تسير في الطرق التي تشح فيها المياه ، ولا يتيسر للقافلة الكبيرة ، وفيها خيل ، أن تسير في تلك الطرق ، ان وجد الماء فيها ، ففي محلات متباعدة جداً . ومن هذه الطرق طريق (الرحبة - دمشق) وطريق (هيت - دمشق) وقد بدا من تثبيت موصل لها أن أماكن الماء في هاتين الطريقين متباعدة كثيراً وهي إما يركت أو أحواض طبيعية لا يكون الماء فيها إلا في الشتاء ، بعد نزول أمطار غزيرة . وقد تبين لنا ان خالداً قطع الطريق بين العراق والشام بعد انتضاء موسم الشتاء ، وهو على رأس قوة ليست قليلة العدد وفيها اخیل التي لا تحمل العطش كالإبل .

عدد الرجال الذين سافر بهم خالد :

تضاربت الروايات في تقدير قوة خالد بن الوليد . فروى المدائني ان قوة خالد تتفاوت بين ستائة وثمانائة وأبد البلاذري هذه الرواية وجعل قوة خالد تختلف بين خمسمائة الى ثمانمائة . وأكد ابن الاثير ذلك . أما ابن عساكر فقال انها ثلاثة آلاف وجعل ابن كثير قوة خالد تسعة آلاف وخمسمائة . وقد ورد

أن أبا بكر أصر خالداً أن يستخلف المثنى بن حارثة على العراق في نصف الناس . وفي بعض الروايات أن المثنى اعترض على خالد لما رآه يستأثر بالصحابة ويترك له من لم يكن له صحبة ، وقال له والله لا أقيم إلا على انقاذ أصرابي بكر كله في استصحاب نصف الصحابة أو بعض النصف ^(١) وذكر ابن عساكر أن أبا بكر كتب الى خالد أن يمضي مخففاً في أهل قوة من الصحابة الذين قدموا معه العراق من البصرة وصحبه في الطريق وقدموا عليه من الحجاز ^(٢) . وذكر أبو يوسف أن خالداً خرج بالفين الى العراق ومعهم من الأتباع مثلهم ، فمر بفيد ، فخرج معه خمسمائة من طي ومعهم مثلهم فأتى الى شراف ومعهم خمسة آلاف أو أقل أو أكثر ^(٣) . ويتضح مما ذكره أبو يوسف أن الذين خرجوا من الحجاز ألفان ، ولو فرضنا أنه أخذ نصفهم حين سفره من العراق امثالاً لأمرابي بكر فيكون قد ذهب الى الشام على رأس ألف رجل على أكثر تقدير . لهذا لا عبرة بما ذكره ابن كثير من أن قوة خالد تسعة آلاف وخمسمائة وما ذكره ابن عساكر من أنها ثلاثة آلاف . وقد صرح الروايات أن خالداً رد الضعفاء والنساء الى المدينة ليحضي مخففاً في أهل قوة .

لهذا نرى أن رواية المدائني التي أبدعها البلاذري ونقلها ابن الأثير هي أصح الروايات عن قوة خالد . فقوته اذن كانت بين ستائة وتسماية مجاهد . ومن الطبيعي أن القوة كانت راکبة ، ولا يبعد أن يكون ركاب الإبل ردفاً ، كأن يركب اثنان على جمل واحد . ولعل نسبة الخيل من الإبل كانت تتفاوت بين واحد في العشرة الى الواحد في الخمسة عشر .

- (١) الطبري ، الجزء الثاني ، ص (٦٠٥) .
- (٢) ابن عساكر ، الجزء الأول ص (١٣٨) .
- (٣) الخراج ، ص (١٦٩) .

مقارنة بين الطرق :

ظهر لنا من الكلام عن الطرق التي تربط العراق بالشام أن الطريقين الأول والثاني اللذين ذكرهما ابن خردادبة والطرق الثلاثة التي ذكرها المقدمي كانت بأجمعها طرقاً تقطع البادية من الشرق إلى الغرب والمياه فيها قليلة ، وهي إما آبار وإما غدران أو أحواض أو جواني مجمع مياه ، والمسافات بين أماكن الماء بعيدة تقطع في مرحلتين أو في ثلاث مراحل أحياناً . ولا يمكن قطعها باخيل ويتمذر قطعها بقافلة مؤلفة من عدد كبير من الناس إلا في موسم الأمطار الفزيرة . ويبلغ طول الطريق في أقصى الشمال من عين التمر إلى دمشق نحواً من ألف كيلومتر ، وهي تتجاوز مساح الروم وقلاعاً وحصوناً ، يضاف إلى ذلك أنها تقطع ديار قبيلة تغلب التي ظهر عداؤها للمسلمين بوقوفها في جانب الفرس ومقاتلتها للمسلمين قبل سفر خالد بن الوليد . ولا يوجد في هذه الطريق موقعا قراقر وسوى اللذان اتفقت الروايات على أن خالداً مر بها أثناء تفويزه في البادية . وقراقر ماء لكب وسوى ماء ليهراء ولبس لقبيلة كلب منازل في طريق (الفراض - أرك - تدمر) ، لأن هذه الأماكن واقعة في ديار تغلب . لهذا يصعب الاعتماد على الروايات القائلة إن خالداً مر بهذه الدروب ، إذ لا بد له ، في مسيره عليها من مناوشة التغليب من جهة ومقابلة المسالخ واضطراره إلى محاصرة الحصون والقلاع من جهة أخرى ، وفي ذلك مضية للوقت وانهاك لقوته الهضيرة ، فضلاً عن اتحماله لهذه العقبات جميعها . وقد يتربص له الروم لما ينتهي اليهم من أنباء حركاته ويحولون دون نجاته للمسلمين .

وعلى الرغم من كل ذلك فإن دي جوبه وكابناني اعتمدا على الروايات التي تقول إن خالداً مر بأرك وتدمر والقريتين وحوارين في طريقه من العراق إلى الشام . وكان سبب ذلك عدم المعرفة بموقعي قراقر وسوى . وقد اكتفى جغرافيو العرب

على عادتهم بذكر الروايات عن المواقع من دون أن يثبتوا المحل بالضبط ، فذكروا ان قراقر ماء لكب وسوى ماء ليهراء . وذكر ياقوت في معجمه في مادة قراقر انه ماء لكب وواد لكب بالسماة من ناحية العراق ، نزله خالد بن الوليد عند قصده الشام وفيه قيل :

لله در رافع أنى اهتدى خمسا اذا ماسارها الجيش بكى
ماسارها من قبل أنسى يرى فوز من قراقر الى سوى
وذكر البكري في مادة قراقر انه موضع في ديار كلب واستشهد بييت نسبة الى خالد:
ضل ضلال رافع أنى اهتدى فوز من قراقر الى سوى
خمسا اذا ماساره الجيش بكى

وبدل بيت قاله حكيم ان قراقر بشق الشام والبيت كما يلي :
وان بنية قد ناؤنا بدارهم فخوران أدنى دارهم فقراقر
وقد استند كاتباتي في بحثه ^(١) الى الرواة من جماعة المدينة كالواقدي والمدائني واعتبر رواية ابن اسحق ناقصة . أما روايات سيف بن عمر وهو من جماعة الكوفة فلم يلتفت اليها . وكاتباتي لا يعتمد كثيرا على سيف ويعتبر ما جاء في رواياته من نسج الخيال ولكن الاعتماد على روايات المدائني والواقدي في هذا الصدد من دون تمحيصها ، تظهر لنا ان خالد ورجاله يخططون خطط عشواء ويضربون في أرض البادية ويسبرون في اتجاهات متخالفة ، بينما اخوانهم في الشام ينتظرون وصولهم .

(١) لم نطلع على ما كتبه كاتباتي عن رحلة خالد من العراق الى الشام لأن الجزء الثاني من مجلده الثاني من حوليات الاسلام نفذ . والنسخ في مكتبة وزارة الدفاع العراقية ومكتبة دائرة الآثار ناقصة ، لا تحتوي على المجلدين الأول والثاني . وكان الكاتب التركي حسين جاهد بالشين قد ترجم المجلد الأول والجزء الأول للمجلد الثاني ونشر ترجمته في عشرة أجزاء . لهذا ظل الجزء الثاني للمجلد الأول بعيداً عن متناول اليد في خزائن بغداد والذي أدرجناه في بحثنا هذا عن آراء كاتباتي اقتبسناه من كتاب « العربى موشل - The Arabia Dezerta » نقلًا عن ملحقه الباحث عن سفر خالد من العراق الى الشام وهو بحث قيم أضاف الشام عن كثير من النقاط الغامضة ونبت الطريق الذي سلكه خالد .

فالواقدي^(١) جعل خالدًا بعد وصوله الى سوى يخرج الى الكوائل ثم يأتي قرقيسيا ، ثم أرك ، ثم دومة الجندل فيفتحها ، ثم يأتي قصم فيصالحه أهلها ثم يبلغ حوارين فيظفر بأهلها أو يسبي ويغنم الى أن يغير على بني غسان في مرج راهط في عيد فصحم . فخير الواقدي هذا بدل على أنه كان يحمل جغرافية البلاد ، لهذا اعتمد على الروايات وحشرها حشراً من دون أن يتأكد من موضع الأماكن التي ذكرها .

رأى المدائني^(٢) أن خالدًا بعد أخذه أمر أبي بكر بالتوجه الى الشام ، قد ذهب من الحيرة لمحاربة العدو في صندوقاء ، ثم يقاتل جموع تغلب في المصينح والحصيد ، ثم يفوز من قراقر الى سوى ، ثم يأتي أرك وتدمر والقريتين وحوارين وقسم ويقاتل أهلها ويظفر بهم حتى يغير على الفسانيين . والرواية هذه تتفق تمامًا مع رواية الواقدي في أعمال خالد من سوى الى مرج راهط .

وقد ذكر أبو يوسف^(٣) أن خالدًا بعد أن توجه من عين التمر وقطع المفاوز أغار على بني تغلب حتى أتى النقيب والكوائل ثم مر بعانات حتى أتى قرقيسيا وانتهى بعد ذلك الى دمشق . ومن الغرب ان كاتباني الذي يعتبر ابن اسحق من أوثق الرواة أهمل روايته عن سفر خالد ولم يلفت اليها . ولعل رواية ابن اسحق على قصرها أصدق رواية عن سفر خالد وهي أقدم رواية وصفت كيف استعد خالد في قراقر لاجتياز المفازة الى سوى ودبر أمر الماء . وقد رواها بعده سيف بن عمر والهيثم بن عدي وأشار اليها البلاذري باختصار . ولم تشر رواية ابن اسحق الى أن خالدًا مرَّ بأرك وتدمر وحوارين . إنما جعلت وجهته بعد سوى مرج راهط . وقال ابن الطريق استقامت بخالد بعد سوى وتواصلت به المياه حتى أغار على مرج راهط كما جاء في تاريخ ابن عساکر .

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص (١١٩) .

(٢) الطبري الجزء الثاني ص (٦٠١) .

(٣) الحجاج ص ١٦٩ .

والمعمل الوحيد الذي قام به خالد في طريقه ، هو فتحه لعين التمر ، خلافاً لما ذكره ابو يوسف والمدائني والواقدي من فتوح . ولم يذكر ابن اسحق في روايته ، المراحل التي نزل بها خالد بين عين التمر وقرقر مما يدل على انه لم يحدث شيء غير اعتيادي في هذه الطريق وانه سلك طريق القوافل ذات المياه .

وجرى سيف بن عمر على عادته فأصعب في روايته ولم يشر الى الفتح الذي تم خالد في سفره وجعل طريقه من الحيرة الى دومة الجندل ومنها الى قرقر فسوى فرج راحط وقدم أخبار الفتوح التي وردت في الروايات الأخرى على سفر خالد ، فذكر فتح عين التمر والقتال في الحصيد والمصيغ والفراض والبشر قبل ذهاب خالد الى الحج في آخر سنة ١٢ هجرية وقبل استلامه كتاب ابي بكر بالسفر الى الشام أوائل سنة ١٣ هجرية . لقد نبه سيف في روايته الى السبب الذي دعا خالداً الى أن يفوز من قرقر الى سوى وأوضح السبب الذي حدا بخالد على المجازفة في التفويض برجاله رغم الأخطار التي ذكرها دليله رافع . سأل خالد رافعا : « كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم فاني ان استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين » ، هكذا يظهر ان خالداً اجتاز المفازة رغم وجود طريق أمين لأنه أراد ألا يقف الروم بوجهه فيتمنونه من نجدة المسلمين في الشام .

واعتمد « دي جوبه » بعد أن ناقش الروايات على الرواية التي رواها ابن اسحق وأكمل قصصها بروايات المدائني والبلاذري وزيف رواية الواقدي التي جعلت مرحاتي الكوائل وقرقيسيا بعد سوى وضعف أيضاً رواية أبي يوسف التي جعلت خالداً بعد قطعه البادية يمر بمانات والنقيب والكوائل وقرقيسيا وقال ^(١) :

« ذكر (هانبرج) ان خالداً بسفره من الأنبار وعين التمر كان يستطيع بعد بضع مراحل ان يصل الى قنصر ماراً بأرض خصبة مزروعة . ولكنني أعارضه في ذلك ، لأنه كان ينبغي لخالد أن يسلك طريق الفرات للوصول

(١) مذكورة عن فتح الشام ص (٤٤) .

الى الطريق العام ، وبذلك بدور دورة كبيرة ، فاهيك بالأخطار التي تعرض لقوته الصغيرة باحتيازها أرض العدو . ويرى هانبرج ان المنازل أرك وتدمر . . . الخ لا يمكن ان تكون على الطريق التي قطعها خالد والتي جعلها في حوران الشرقية على سيف البادية . ولا شك في أن خالداً كان في مكنته بعد ارتحاله من سوى ان يقصد الى الجنوب الغربي وبذهب رأساً الى عمان . بيد أن أكثر الروايات قالت ان خالداً توجه الى الشمال الغربي ونحو أرك . ولا يذكر ابن اسحق أرك وتدمر ولكنه يذكر مرج راحط . ولا تستند فرضية هانبرج الى أساس تاريخي وتضطرنا الى القول بأن خالداً بعد بلوغه بصرى ، لا يسرع للاجتماع بالقادة الذين كانوا ينتظرونه ولكنه يقوم بغزوه نحو تدمر وهذا لا يعقل .

واذا علمنا ان نصف الطريق الثاني التي سار فيها خالد تمر بأرك وتدمر والقريتين وحوارين ومرج راحط وان بدأ حركته من عين التمر بتعذر علينا الاعتراف ببعض الشيء بالقول ان خالداً غامر فاجتاز البادية للوصول الى الطريق العام لبلوغ دمشق من شمالي الجزيرة . ان الاتجاه الذي اتخذته على هذه الصورة يؤدي الى الشمال الغربي . لهذا بلوح لنا بأنه بعد تركه عين التمر تقدم نحو قراقر وفوز منها الى سوى ثم سار الى أرك

حتى اذا وصل خالد في أرك الى الطريق العام مكث قليلاً في تدمر وبعد مدة قصيرة بلغ القريتين ثم الى حوارين فالتقى لأول مرة بقوات انهالت عليه من بصرى وبعلبك تقاومه أعنف مقاومة

ولما اجتاز خالد المضيق الشهير الواقع على طريق (دمشق - حمص) وقف برهة فوق الراية المطلة على المضيق التي سميت بثنية المقاب ، ثم تقدم جاعلاً دمشق على يمينه وباعت الفسائين في مرج راحط في يوم الفصح

قلنا ان مادعا المؤرخين الغربيين الى تصديق أخبار فتوح خالد في طريقه الى الشام واقرار الروايات القائلة انه دخل الشام من طريق تدمر ، هو جهلهم موضع قراقر وسوى .

قراقر وسوى :

ومع ان ابن اسحق وابا يوسف جمعا المفازة بين قراقر وسوى بعد عين التمر وان سيف بن عمر وعقبة ذكرا ان المفازة بعد دومة الجندل وان الهيثم بن عدي قال ان خالداً مرّ بالسماة حتى انتهى الى قراقر ففوز منها وان اللالطائي (ابن عساكر) جعل المفازة قبل وصول خالد الى ضمير وعلى الرغم من كل ذلك فان كاتباني استند الى ما كتبه الرائد بيترس الذي زعم أن قرية (سُوه) الواقعة على ضفة الفرات اليمنى هي سوى التي مر بها خالد . ولكن موصل ذكر ان اسم القرية المذكورة (السَّوِيَّة) لا (سُوه) وهي قرية من البوكمال . ويتضح مما كتبه موصل^(١) ان كاتباني اعتمد على ما أورده اليعقوبي من ان خالداً ذهب الى الأنبار بعد أخذ أمر ابي بكر وأخذ دليلاً منها وقال ان الأنبار قد تكون قراقر لأنها على نهر الفرات ولأن خالداً أخذ الدليل منها ولا حاجة للإشارة الى تفاهة هذا الاستنتاج . واذا كانت الأنبار رأس المفازة بين قراقر وسوى فينبغي أن تكون المفازة على ضفة الفرات اليمنى على حين لا طريق القوافل المارة بالفرات ولا الطريق التي توازيه غرباً هي طريق مفازات ، لأن الأول يمر بجانب الفرات والثاني قريباً منه وفيه مياه ، فضلاً عن أن المؤرخين والجغرافيين قالوا ان قراقر ماء لكب وديار كب بعيدة عن الفرات وان الطريقين المذكورتين قمران بديار تغلب . وقد أجمعت الروايات على أن خالداً في سفره من العراق اجتاز مفازة بين قراقر وسوى وصرحت بعض الروايات ان طول المفازة خمس ليال وجعل اليعقوبي المفازة بين الأنبار وتدمر وقال ان خالداً صار في البرية والمفازة ثمانية أيام وقد ذكرت بعض الروايات ان خالداً فوز قبل وصوله دومة الجندل ومن الروايات ما جعل المفازة في حجة خالد من الفراض الى مكة . وقد استند كاتباني الى رواية المدائني التي جاء فيها أن خالداً بعد أن فوز

(١) Arabia Dezerta ص (٣٠٢) .

من قراقر الى سوى أتى أرك وتدمر ثم بلغ القريتين ٠٠٠ الخ استند الى هذه الرواية وقال ينبغي البحث عن موضع سوى في جوار أرك وزعم أن سوى هي قرية السخنة وبذلك قنش على المفازة بين نهر الفرات والسخنة أي في سلسلة البشرى الممتدة من ضفة الفرات اليمنى الى شمالي شرقي السخنة . ولكن موصل اعترض على رأي كاتباني هذا وقال ان الطريق بين الفرات والسخنة من سلسلة البشرى قصير ، يقطع في يومين أو ثلاثة ، لا في خمس ليال كما جاء في الروايات ثم ان المياه فيه كثيرة . هكذا بنصح للقارئ ان سبب كل هذا الاختلاف جهل محل قراقر وسوى . ومن نظروا في الخرائط لم يعثروا على هذين الاسمين لان الخرائط المتبصرة يومئذ لم تعرض لها بعد موضعها عن المناطق الكثيرة القرى ولم يتسن للرواد أن يروا بها فيثبتوها في الخريطة . وكان أول وآخر من ثبت هذين الاسمين في الخريطة الرائد الشكوسلوفسكي (أليس موصل) الذي قطع قبل الحرب العظمى الأولى وفي أثناءها بادية الشام وشمالي جزيرة العرب . وثبت الأسماء التاريخية القديمة ورسمها على الخريطة ومر بقراقر وما يزال البدو يسمونها قراقر بفتح أوله وبلهجتهم وهو معروف لديهم باسم (كلبان قراقر) . وقد صورها موصل ^(١) وكلمة (كلبان) جمع كليب (قليب) البئر . وذكر ان الآبار فيها أكثر من عشرين بئراً تقع جميعها في الطرف الشمالي الشرقي لحوض المياه بين الجبلين الأسودين (المسحاط) (ورَبْدَة) وعمق بعض الآبار ثلاثون سنتيمتراً (؟) وعمق الأخرى ثمانون سنتيمتراً وتقع قراقر شمالي شرقي الجوف (دومة الجندل) على بعد مائتين وثلاثين كيلومتراً شرقي ، جنوبي شرقي قرية (كاف) في وادي السرحان ، في المحل الذي تنعطف فيه حرة الشامة من الشمال الى الجنوب الشرقي وعلى شرقي الطريق المار بوادي السرحان بين دومة الجندل وبصرى وفي الحافة الشرقية لهذا الوادي الذي كان العرب يسمونه (بطن السر) وسبب هذه التسمية ان الوادي عريض ، عبارة عن قاع بين هضبتين . وتقع قراقر على بعد خمسمائة كيلومتر جنوبي غربي عين التمر .

(١) وجاء رسمها في ص ١٠١ من كتابه (البادية المريية) Arabia Dezerta .

أما موقع سوى فقد قال موصل انه في (سبع يار) على طريق السيارات بين بغداد ودمشق شرقي ضمير على مسافة مائة وخمسة وعشرين كيلومتراً . والآبار في وادي قليل الغور ، تحجب مياهها اذا استمر الجفاف عدة سنوات وهي تقع في سهل متوج ، من الصعب الاهتداء واليه . ويعرف موقع سبع أيار بمرتفعين طبيعيين فوقهما رجم . وقال موصل ان البدو يسمونه (سوى) بسكون أوله وأضاف موصل : انه لا يوجد ماء بين قراقر وصوى (١) .

أما وقد اهتمدنا الى موقعي قراقر وصوى بالاعتماد الى ما حققه المستشرق موصل وما أكدوه شاهد عيان وما جاء في خريطة Persian Gulf طبع وزارة الحربية البريطانية سنة ١٩٣٤ بمقياس واحد على أربعة ملايين فقد تبسر علينا تمحيص الروايات وتفصيل بعضها على بعض .

طه الرهاشمي

(يتبع)

(١) ويبدو ان موقع قراقر يعرفه البدو ولا يحتاج كشفه الى كبير عناء ولو مثل الادلاء من العقيل وغيرهم الذين يرافقون القوافل بين الشام والعراق والشام ونجد لتيسر معرفته ، لأنه على ملتقى الطرق وفيه مياه غزيرة سهلة للنال . وقد سألنا الشيخ عبد الميزز العقيلي الموظف في المفوضية السعودية في بغداد ، وقد طاف كثيراً في البادية دليلاً وساعياً وتاجراً ، عن قراقر فما ان ذكرنا له اسمها حتى قال انها بين سبع أيار والجوف بين رايتين ، القرية منها سوداء ، مقتولة الرأس تسمى (مخاط) والراية القرية تسمى (الربدّة) . وقراقر كثيرة الآبار ، وللاء قريب من صفح الأرض لا ينضب . وذكر للمراحل بين قراقر وسبع أيار وهي ست ويصنها بأنها مرحلات خفاف . وأكد بأن علامة سبع أيار رجاء أي كوسان من الحجارة وللنازل (أذنه) أي أم أذن و (كتب الشامة) وهي كتابان رملية و (تل الهبر) و (الحويمات) و (غراب الحدالي) ، ثم سبع أيار . لم يعرف عبد الميزز اسم سوى . وللنازل تلك مسجلة في الخريطة التي رسمها موصل . وذكر الشيخ عبد الميزز الرماطين اللتين ورد ذكرهما في الروايات وقال انها رايتان متقابلتان على شكل التبة يقمان بين قراقر وسبع أيار بمد أرض الحرّة . اذن كان بالامكان معرفة موقع قراقر كما تم لنا . ولكن لم يتسن للباحثين معرفة هذا المحل الا بعد أن جال الرائد الشكوسلوف في موصل في البادية برفقة جماعة من عشيرة الرولة .

المؤلف

شيخ الإسلام ابن تيمية

- ٣ -

مقدمة ثمانية

في اختيارات شيخ الإسلام

اشتهر شيخ الإسلام ابن تيمية بمائل أثرت عنه ، وظن كثير من الناس أنه انفرد بها عن غيره ، بل ظنوا أنه خالف في بعضها الإجماع ؛ وهي أمور اجتماعية يقع في مثلها الخلاف بين العلماء . ومن المفروغ منه أن ابن تيمية قد بلغ رتبة الاجتهاد في الأحكام الشرعية ، وأنه كان يقني الناس بما أدى إليه اجتهاده ، وأنه موافق في فتاواه بعض الصحابة أو التابعين أو أحد أئمة المذاهب الأربعة أو غيرهم ، ممن عاصروهم أو جاء قبلهم أو بعدهم ؛ وقد قائل العلامة برهان الدين ابن الإمام محمد المعروف بابن قيم الجوزية : لا نعرف له مسألة خرق فيها الإجماع ، ومن ادعى ذلك فهو إما جاهل وإما كاذب ، ولكن ما نسب إليه الانفراد به ينقسم إلى أربعة أقسام ، (الأول) : ما يستغرب مجداً فينسب إليه أنه خالف فيه الإجماع ، لندور القائل به وخفائه على الناس ، لحكاية بعضهم الإجماع على خلافه . (الثاني) : ما هو خارج عن مذاهب الأئمة الأربعة ، وقال به بعض الصحابة أو التابعين أو السلف ، واختلف فيه محكي . (الثالث) : ما اشتهرت نسبته إليه مما هو خارج عن مذهب الإمام رضي الله عنه ، لكن قد قال به غيره من الأئمة وأتباعهم . (الرابع) : ما أفنى به واختاره مما هو خلاف المشهور في مذهب أحمد ، وإن كان محكياً عنه وعن بعض أصحابه .

- ٥٥٩ -

وقد ذكر برهان الدين اختيارات شيخ الاسلام في هذه الأقسام الأربعة ،
فالقسم الأول عدده منه في الطلاق عشر مسائل ، وعدده منه في غير الطلاق ،
سبعاً وعشرين مسألة . ومن مسائل القسم الثاني سبع عشرة مسألة . ومن الثالث
ست عشرة ، ومن الرابع ستاً وعشرين . وتجد هذه المسائل في مجموع يشمل
على رسالتين (الأولى) : في مذهب الإمام داود الظاهري ، جميعها الأستاذ
الشيخ محمد الشطي (والثانية) : في مسائل شيخ الاسلام ابن تيمية ، جمع العلامة
برهان الدين المتقدم . وفي الكواكب الدرية (من مجموع الرد الوافر المطبوع
ببصر ١٣٢٩) شذرة من هذه الاختيارات ومما ذكر من اختارها من أئمة
السلف (من ص ١٨٤) .

وأهم هذه الأقوال التي اشتد فيها النزاع ، وادعى خصوم الشيخ أنه خرق
بها الإجماع ، ثلاث مسائل فيما نراه : الطلاق ، والوسيلة ، وشد الرجال إلى
غير المساجد الثلاثة المفضلة حرم مكة ، والمدينة ، والمسجد الأقصى ؛ ولنا في
هذه القضايا الثلاث كلمات ثلاث أختم بها هذه العلاوة .

(قضية الطلاق)

الطلاق في الاسلام لا يكون إلا عن ضرورة وبصيرة ، وذلك بأن يكون
الزوجان قانعين بأن لا صيبيل لبقائهما على الحياة الزوجية ، لموانع جسمية أو نفسية ،
خلقية أو خلقية ، تجعل صفو العيش كدرأ ، وتعرض النسل للمهانة والشقاء ،
فالفراق في هذه الحال نعمة لا نقمة ، والزوجان صعيذان به لاشقيات ،
« وإن يتفرقا يُغن الله كلا من سمته » وآية ذلك أن يكون الزوج في حال
الطلاق عاقلاً مختاراً ، وأن تكون الزوجة راضية مطمئنة ، فيتمتعها متاعاً حسناً
ويفارقها باحسان . أما إذا لم يكن موجب للفراق ، فليس له أن يضارها
بالطلاق ، وعليه أن يذكر قول العليم الحكيم : « فإن أظنكم فلا تبفروا

عليهن صبيلاً» فهذا ضمان وأمان لها من الله تعالى طول حياتها عنده ، مادامت قائمة بواجبها . أما طلاق الفضيان والسكران ، والطلاق من أجل قضية أجنبية لا علاقة للزوجة بها ، فهو طلاق الظالمين لأنفسهم ولا زواجهم ، وصيأتي حكمه . وقد ذكر شيخنا القاسمي رحمه الله آداب التطلاق المستنبطة من الكتاب الكريم والسنة الصحيحة ، في رسالته التي سماها « الاستئناس ، لتصحيح أنكحة الناس » فعدّ منها عشرة آداب (الأول) : هو رعاية المصلحة في إيقاعه ، بعد التروي والتحكم . (الثاني) : إيقاعه في حال الخوف من عدم إقامة حدود الله . (الثالث) : أن لا يكون القصد بإيقاع الطلاق مضارة الزوجة . (الرابع) : أن يطلق لداع لا يتأتى معه اتخاذها زوجة . (الخامس) : أن لا يطلق ثلاثاً دفعةً واحدة . (السادس) : أن يشهد على الطلاق . (السابع) : أن لا يكون في حالة الغضب . (الثامن) : أن ينوي الطلاق ، لحديث « إنما الأعمال بالنيات » . (التاسع) : أن يكون التطلاق مأذوناً فيه من جهة الشارع . (العاشر) : التطلاق بإحسان ، لا بإساءة ولا بفحش من الكلام ، ولا بقي ولا عدوان . هذه الجمل القصيرة كالمناوين لهذه الآداب المشرة التي شرحها أستاذنا في رسالته ، ثم قال : فأمر تعالى المطلّقين إذا طلقوا الطلاق المأذون فيه - وهو المستوفي شروطه - أن يسهروا نساءهم راضيات عنهم ، داعيات لهم ، ذاكرات لجلبهم ومعروفهم وإحسانهم ؛ وذلك بأن يحسنوا اليهن بما يتمتعن به على قدر البسر والمسر ، وأكد ذلك أيضاً بقوله : « متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين » فجعل ذلك حقاً لازماً على الذي يحسنون إلى أنفسهم في المسارعة إلى طاعة الله فيما ألزمهم به ، وأدائهم ما تكفهم من فرائضه ، ويحسنون إلى المطلقات بالتتبع على الوجه الذي يحسن في الشرع والمروءة ، وختم البحث بهذه الكلمة الواعظة : تالله إن القلب يتفطر ألماً ، والعين تدمع دماً ، على ما أصبحوا فيه من الجهل ، ولا من سائق لهم إلى الفقه والعلم ، حتى أصبحت محاكم القضاة تياراً لأمواج شكايبة المظلومات ،

م (٦)

وميداناً لجولان دعاوي الزوجات ، (و) حتى صار المسلمون يبتغيهم في الطلاق ،
وهضم حقوق الأزواج عاراً على الإسلام ، وفتنة لسواهم من الأقوام ، « ربنا
لا تجعلنا فتنة للذين كفروا ، واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الرحيم » .
والحاصل ان مسألة الطلاق كمسألة تمدد الزوجات ، شرعت للحاجة اليها ،
ولها شروط وقيد ، تثبت نفعها وتنتع ضررها .

الطلاق عند الأجانب

أما الطلاق في أوروبا وأميركا فالظاهر أنه لا يكون إلا لأسباب تقع بين
الزوجين خاصة ، ولكنهم يطلقون لأهون الأسباب وأيسرها ، كقص الشعر ،
وخلع اللحية ، ولباس السهرة ونحو ذلك ، ولذلك كثر عندهم كثرة هائلة ،
وهو طلاق باعته السامة والملل ، وحب التنقل ، وله عواقب وخيمة ، ومنها ضياع
النسل . وقد نشرت جريدة الأهرام (أول سنة ١٣٥٤ هـ و سنة ١٩٣٥ م)
اعتقاداً للقاضي لندسي أشهر قضاة الطلاق في لوس انجلوس في ولاية (كاليفورنية)
خلاصته أن الحياة الزوجية ستزول من بلادهم (أميركا الشمالية) وتحل محلها
الاباحة والفوضى في العلاقة ما بين النساء والرجال في زمن قريب ، وهي الآن
كشركة تجارية ينقضها الشريك لا وهي الأسباب خلافاً لهداية جميع الأديان ،
إذ لا دين ولا حب يربطهما ، بل الشهوات والتنقل في وسائل المسرات .
ومن غريب الاتفاق أني قرأت في صحيفة دمشق صدرت اليوم (٢٢/٧/١٣٧١
و ١٦/٤/١٩٥٢) كلمة عن الطلاق عند الأميركيين وأسبابه ، يتبين منها أن
تزول المرأة الأميركي - فتاةً ومتزوجة - إلى ميدان العمل الخارجي هو الذي
أنارها على طبيعتها وشربيتها ، ودعاها إلى كراهية البيوت والأزواج والأولاد!!!
فقد « زادت نسبة النساء العاملات في السنوات الأخيرة بمقدار (٥٠) في المئة ،
في حين أن الرجال لم يزيدوا إلا بمقدار (٢٠) في المئة » وما يدل على أن

المرأة الأميركية تفوق جميع نساء العالم نفوذاً انتشار الطلاق في أميركا ، والمشاهد أنه كلما قوي نفوذ المرأة كثر الطلاق ، لأن قدرة المرأة على الاستقلال بنفسها استقلالاً مادياً وأدبياً يهون عليها أمر الفراق عن زوجها ، ولهذا نجد أن نسبة الطلاق في أميركا ثمانية أمثالها في بريطانيا ، كما نجد أن (٧٠) في المئة من حالات الطلاق تقع بناءً على طلب الزوجات لا على طلب الأزواج ، وقبلنا نجد الآن فتاة أميركية ترضى أن تكون ربة بيت فقط ، بل كل فتاة تريد أن تعمل وأن تكسب كالشباب ، وبعد الزواج ترفض المرأة أن تبقى في بيتها !!

قلت : سبب هذا الانحلال الحُلقي ، والتدهور الاجتماعي هو تحلي الرجال عن النساء ، بل دفعهن في تيار العمل واللهو خارج المنزل ، فاختل نظام البيوت ، وتقوضت دعائم الأسرة ، وهذا هو الذي يقدّم فيه من بلاد الشرق عييد الشهورات ، حتى تعطل الحياة المنزلية ، وتقفر البيوت من أهلها :

إذا لم تكن في منزل المرء حرّة مدبرة ضاعت مصالح داره

الطلاق في الاسلام

وبعد فليشيخ الاسلام في الطلاق الشرعي والبدعي كلام يطول ، ولشرحه في كتب ابن القيم حواشي وذبول ، وحسبنا أن نشير الى مراجعته فهي مطبوعة متداولة ، وفيها من حقائق التنزيل والتأويل ، ما يضمن سلامة الأُمر ، بل سمادة البشر ، لو رعوا هذه النصوص حق رعايتها ، ولم يستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير . وكتب الشيخين قد أشبعت هذا الموضوع بحثاً واستدلالاً ، ولم تدع للمبتدعة فيه شبهة ولا مقالاً ، بل اوردت جميع مقالاتهم وانت عليها نقضاً وإبطالاً . وإنك لتجد هذه المباحث السابقة والحجج البالغة ، في الجزأين الثالث والرابع من فتاوى شيخ الاسلام ، والاغاثين الكبرى والصغرى لتلميذه ابن القيم ، وله أيضاً سبح طويل في كتابه « زاد المعاد » وفي تهذيبه « لسنن أبي داود » واليك نبذاً قصيرة منها كلها :

قال شيخ الإسلام في فتاويه^(١) : « إن الأصل بقاء النكاح ، ولا يقوم دليل شرعي على زواله بالطلاق المحرم ، بل النصوص والأصول تقتضي خلاف ذلك ، ولو غلظ الأيمان التي شرع الله فيها الكفارة بما غلظ ، ولو قصد أن لا يحنث فيها بحال ، فذلك لا يغير شرع الله ، وإيمان الخالفين ، لا يغير شرع الدين . » وقال ص ٣١ : « والمرأة إذا أبغضت الرجل كان لها أن تفتدي نفسها منه وهذا الخلع تبين به المرأة ، فلا يحل له أن يتزوجها بعد إلا برضاها ، وليس هو كالطلاق المجرد إن الخلع هو الفرقة بموضع ، فمتى فارقتها بموضع فهي مفتدية لنفسها به ، وهو خالع لها بأي لفظ كان وذلك أن الاعتبار بمقاصد العقود وحققها لا باللفظ وحده ، فما كان خلعا فهو خلع بأي لفظ كان ، وما كان طلاقا فهو طلاق بأي لفظ كان ، وما كان يمينًا فهو يمين ، وما كان إيلاءًا فهو إيلاء ، وما كان ظهارًا فهو ظهار ، والله تعالى ذكر في كتابه الطلاق واليمين والظهار والإيلاء والافتداء وهو الخلع ، وجعل لكل واحد حكمًا ، فيجب أن نعرف حدود ما أنزل الله على رسوله ، وندخل في الطلاق ما كان طلاقًا ، وفي اليمين ما كان يمينًا اه باختصار . »

وفي ص ٣٣ : « إن كتاب الله يبين أن الطلاق بعد الدخول لا يكون إلا رجعيًا ، وليس في كتاب الله طلاق بائن إلا قبل الدخول . »
ولو قال : أنت علي كظهر أبي وقصد به الطلاق ، فإن هذا لا يقع به الطلاق عند عامة العلماء ، وفي ذلك أنزل الله القرآن فإنهم كانوا يعدون الظهار طلاقًا ، والإيلاء طلاقًا ، ورفع الله ذلك كله ، وجعل في الظهار الكفارة الكبرى^(٢) وجعل الإيلاء يمينًا يترتب فيها الرجل أربعة أشهر ، فإذا أن يمك

(١) ج ٢٧/٣ طبع مصر .

(٢) « والذين يظاهرون من نساءهم ثم يمودون لما قالوا ، فتحرير رقبة من قبل أن يتأسا . . . فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتأسا ، فمن لم ينظم فاطمام ستين مسكينًا . » الآيات (٢ و ٣) من سورة المجادلة

بمرووف أو يسرّح بإحسان ، وكل يمين يخلف عليها المسلمون من أيمانهم
ففيها كفارة يمين^(١) ، كما دل عليه الكتاب والسنة .

وفي ص ٢٤٦ من « زاد الماعاد » : وأجمع المسلمون على وقوع الطلاق الذي
أذن الله فيه وأباحه ، إذا كان من مكاف مختار ، عالم بمدلول اللفظ ، قاصد
له . واختلفوا في وقوع المحرم من ذلك ونحن نذكر المسألتين تحريراً
وتقريراً ، كما ذكرناهما تصويراً .

وفيه : إن رسول الله (ﷺ) أخبر عن رجل طلق امرأته ثلاث تطبيقات
جميعاً ، فقام غضبان ثم قال : أيلب بكتاب الله وأنا بين أظهركم ؟ وإسناده
على شرط مسلم . ١٠ هـ .

قال البخاري في صحيحه : باب الطلاق في الإغلاق والسكران والمجنون
وأمرهما ، والغلط ، والنسيان في الطلاق والشك لقول النبي (ﷺ) : « إنما
الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » - إلى قوله : وقال عثمان :
ليس لمجنون ولا سكران طلاق . وقال ابن عباس : طلاق السكران والمستكره
ليس بجائز . ١٠ هـ . وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : وذهب إلى عدم وقوع
طلاق السكران أيضاً - كعثمان - أبو الشعثاء ، وعطاء ، وطاووس ، وعكرمة ،
والقاسم ، وعمر بن عبد العزيز ، وذكره ابن أبي شيبة عنهم بأسانيد صحيحة ؛
وبه قال ربيعة والليث والسمي والمزني ، واختاره الطحاوي .

وفي « أعلام الموقعين ج : ٣ / ٣٣٢ » - بعد أن ذكر من ذهب إلى القول
بعدم نفوذ طلاق السكران من الحنفية والشافعية - قال : والصحيح أنه لا عبرة
بأقواله من طلاق ولا عتاق ولا بيع ولا هبة ولا وقف ولا إسلام ولا ردة
ولا إقرار ، لبضعة عشر دليلاً ، ثم فصل القول في ذلك كله تفصيلاً .

(١) « فكفاراته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما نظموا أهليكم ، أو
كسوتهم ، أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام » .
الآية (٨٩) من سورة المائدة

ومن « زاد المعاد »^(١) : « وأما طلاق الإغلاق ، فقد قال الإمام أحمد في رواية حنبل : وحديث عائشة رضي الله عنها : سمعت النبي ﷺ يقول : لا طلاق ولا عتاق في إغلاق . يعني الغضب ، قال شيخنا - بمشيئة الله - : وحقيقة الإغلاق أن يطلق على الرجل قلبه فلا يقصد الكلام أو لا يعلم به كأنه انطلق عليه قصده وإرادته اهـ . قلت : قال أبو العباس المبرد : الغلق ضيق الصدر وقلة الصبر بحيث لا يجد له مخلصاً . (قال شيخنا) : ويدخل في ذلك طلاق المكره والمجنون ، ومن زال عقله بسكر أو غضب ، وكل من لا قصد له ولا معرفة له بما قال . اهـ .

وفي « أعلام الموقعين »^(٢) :

المخرج الأول : أن يكون المطلق أو الخالف زائل العقل إما بجنون أو إغماء ، أو شرب دواء ، أو وسوسة ، وهذا المخرج يجمع عليه بين الأمة . اهـ باختصار قليل .

ثم قال : المخرج الخامس : أن يفعل المحلوف عليه ذاهلاً ، أو ناسياً ، أو مخطئاً ، أو جاهلاً ، أو مكرهاً ، أو متأولاً ، أو معتقداً أنه لا يحنث به تقليداً لمن أفتاه بذلك ، أو مغلوباً على عقله ، أو ظناً منه أن امرأته طلقت ، فيفعل المحلوف عليه بناء على أن المرأة أجنبية ، فلا يؤثر فعل المحلوف عليه في طلاقها شيئاً . اهـ . وفي فتاوى شيخ الإسلام^(٣) : ولا يقع طلاق المكره ، والإكراه يحصل إما بالتهديد أو بأن يغلب على ظنه أنه يضره في نفسه أو ماله . وفي ص ١٥٢ : ومن حلف بالطلاق كاذباً يعلم كذب نفسه لا تطلق زوجته ولا يلزمه كفارة يمين . وقال أيضاً : ومن علق الطلاق على شرط أو التزمه لا يقصد بذلك إلا الحض أو المنع فإنه يميز فيه كفارة يمين إن حنث .

(٢) طبع مصر سنة ١٣٢٥ هـ ج ٣/٣٣١

(١) ص ٢٤٤ .

(٣) ج ٤/١٥١ .

وفي ص ١١٢ ج ٤ : ولو حلف بالثلاث فقال : الطلاق يلزمني ثلاثاً لأفعلن كذا ، فكان طائفة من السلف واظلف من أصحاب مالك وأحمد بن حنبل وداود وغيرهم يفتنون بأنه لا يقع به الثلاث ، لكن منهم من يوقع به واحدة ، وهذا منقول عن الصحابة والتابعين ، وغيرهم في التنجيز فضلاً عن التعليق واليمين . وهذا قول من اتبعهم على ذلك من أصحاب مالك وأحمد وداود في التنجيز والتعليق والحلف .

وفي ص ١١٦ : الثاني صيغة قسم كقوله : الطلاق يلزمني لأفعلن كذا ، أو لأفعلن كذا ، فهذا يمين باتفاق أهل اللغة ، واتفاق طوائف الفقهاء ، واتفاق العامة ، واتفاق أهل الأرض اهـ .

المطلقة

وبعد فهذه مقتطفات من قصيدة (المطلقة) للشاعر الشهير الرصافي في الانتصار لمذهب ابن القيم وشيخه عليها الرحمة والرضوان ، وقد نشرت في آخر « إغاثة اللهنان في حكم طلاق الغضبان » ومطلعها :

بدت كالشمس يحضنها الغروب فتاة راع نصرتها الشجوب
منزهة عن الفحشاء خود من اخفرات آنة عروب
ومنها :

حليلة طيب الأعراق زالت به عنها وعنه بها الكروب
رعى ورعت فلم تر قط منه ولم ير قط منها ما يريب
ومنها :

فماض زوجها اخلطاء يوماً بأمر للخلاف به شوب
فأنسم بالطلاق لم يميناً وتلك ألية خطأ وحروب
وظلقها على جهل ثلاثاً - كذلك يجهل الرجل الغضوب

وأنتى بالطلاق طلاق بتِ ذوو فتيا تعصيم عصب
فبانت منه لم تأت الدنيا ولم يعلق بها الندام المعيب
فظلت وهي باكية تنادي بصوت منه ترتجف القلوب
لماذا يا نجيب صرمت حلي؟ وهل أذنبت عندك يا نجيب؟

ومنها :

فأطرق رأسه خجلاً وأغضى وقال ودمع عينيه سكوب
نجية أقصري عني فأني كفاني من لظى الندم الالهيب
وما والله هيرك باختيارى ولكن هكذا جرت الخطوب
وقد ختمها بقوله :

ألا قل في الطلاق لموقعه بما في الشرع ليس له وجوب
غلوتم في ديانتكم غلواً يضيئ بعضه الشرع الرحيب
أراد الله تيسيراً وأنتم من التفسير عندكم ضروب
وقد حلت بأمكم كرب وقد فقهى حبل الزواج ورق حتى
يحيط من لعاب الشمس أدلت به في الجو هاجرة حلوب
يمزقه من الأفواه تفت ويقطعه من النسم الهبوب

* * *

فدى ابن القيم الفقهاء كم قد دعاهم للصواب فلم يجيبوا
ففي اعلامه للناس رشد ومزدجر لمن هو مستريب
نحا في ما أناه طريق علم نحاها شيخه الخبر الأديب^(١)
وبيّن حكم دين الله لكن من الغالين لم تعه القلوب
لعل الله يحدث بعد أمراً لنا فينجيب منهم من ينجيب

(١) هو شيخ الاسلام ابن تيمية .

والمقصود - كما يقول ابن القيم - أن الناس لا بد لهم في باب الطلاق من أحد ثلاثة أبواب يدخلون منها (أحدها) باب العلم والاعتدال الذي بعث الله به رسوله (ﷺ) وشرعه للأمة رحمة بهم ، وإحساناً إليهم ، (والثاني) باب الآصار والأغلال الذي فيه من العسر والشدة والمشقة ما فيه (والثالث) باب المكر والاحتيال الذي فيه من الخداع والتحيل والتلاعب بمحدود الله تعالى ، واتخاذ آياته هزواً ما فيه ، ولكل باب من المطلقين وغيرهم جزء مقسوم .

رجوع المحاكم المصرية الى الطلاق الشرعي

قال الأستاذ السيد محمد رشيد رضا في مناره : وأطال ابن القيم في تخريج أحاديث الباب والكلام عليها ، وأثبتته بالكتاب والسنة واللغة والعرف وعمل أكثر الصحابة (ثم قال) :

واقترح بعض الفقهاء والعقلاء على حكومتنا المصرية الرجوع فيها الى أصل الكتاب والسنة الذي كان أول من بسط دلائله شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن القيم في كتبه اعلام الموقعين ، وإغاثة اللهفان ، وزاد المعاد ، ووافقهما وأبدعهما من اعلام السنة وفقهاء الحديث بعدهما الإمام الشوكاني والسيد حسن صدقي ، وصاحباً شرح منن أبي داود وحاشية سنن الدارقطني من متأخري علماء الهند الاعلام^(١) .

ونقف عند هذا الحد من الكلام في يسر الاسلام وسماحته في أمر الطلاق وحماية الأسرة ورعايتها ، وإن ابن تيمية لم يتخط هذه الدائرة من أقواله ، بل جميع ما أتى به مؤيد بالكتاب والسنة وما كان عليه أعلام هذه الأمة .

ونختتم هذا البحث بما جاء في القانون المصري للمحاكم الشرعية ، وهو المعروف بقانون (٢٥ المؤرخ ١٠ مارس سنة ١٩٢٩) تحت عنوان «الطلاق» ما نصه :

١ - لا يقع طلاق السكران والمكره .

(١) ٦٨٣ ج ٩ ٢٨٢ .

- ٢ - لا يقع الطلاق غير المنجز إذا قصد به الحمل على فعل شيء أو تركه ، لا غير .
- ٣ - الطلاق المقترن بعدد لفظاً أو إشارة لا يقع إلا واحدة .
- ٤ - كتابات الطلاق - وهي ما تحتمل الطلاق وغيره - لا يقع بها الطلاق إلا بالنية .
- ٥ - كل طلاق يقع رجبياً إلا المكمل للثلاث ، والطلاق قبل الدخول ، والطلاق على مال ، وما نص على كونه بائناً في هذا القانون ، والقانون ٢٥ لسنة ١٩٢٠ .

قلت : وهذا القانون المشار اليه سنة ١٩٢٠ هو ما اتفقت عليه اللجنة المؤلفة من حضرات شيخ الجامع الأزهر ، وشيخ المالكية ، ورئيس المحكمة العليا الشرعية ، ومفتي الديار المصرية ، ونائب السادة المالكية ، وغيرهم من العلماء . وإنك لتجد في المذكرة الإيضاحية لهذه الأحكام الخمسة بياناً وافياً عنها واحدة واحدة ، ومن مئة السلف ، وعلماء الحديث ، وفقهاء المذاهب أخذ بها ، وهذه المقررات منطقية تمام الانطباق على ما قدمنا من مذهب الشيخين ابن تيمية ، وابن القيم ، والله أعلم .

محرر بهروز البيطار

موسم

(يتبع)

(استدراك)

فاتني أن أذكر (في الفصل الذي عقده بعنوان : دفع فرية عن ابن تيمية ج ٣ م ٢٢ من مجلة المجمع) أن لشيخ الاسلام كتاباً مستقلاً في (شرح حديث النزول) (طبع بمصر سنة ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م ص ٢٣٠) وقد حقق فيه أن هذا النزول هو صفة ذات لا صفة فعل ، ونقل فيه روايات عن أئمة السنة كحماد بن زيد ، وصحفي بن راهويه ، بأنه تعالى في مكانه بقرب من خلقه كيف شاء . قلت : الكتاب كله يؤيد هذا المعنى ، ويبعد عن شيخ الاسلام ضلالة تشبيه الله بخلقهم ، ويهدينا الى فهم النزول الى سماء الدنيا بلا انتقال .

م . ب

موسم

تاريخ فكرة إعجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى العصر الحاضر ، مع نقد وتطبيق

- ٣ -

ودرس الأدباء قضية الإعجاز في علم البلاغة الذي انبثق ولا شك من العناية بدراسة القرآن من ناحية جماله الفني ولا ريب في أن فكرة إعجاز القرآن كانت من أقوى البواعث على نشأة علم البلاغة إن لم تكن أقواها جميعاً فقد انقسم القائلون بالإعجاز منذ البدء في بحث الموضوع بحثاً علمياً منظماً فريقيين : فريقاً يقول بأن إعجازه راجع الى بلاغته وحسن نظمه وأسلوبه ، وفريقاً لا يرى إعجازه في ذلك وبلتمس له أسباباً أخرى ولكن الفريق الأول هو الأكثر ولم يكن بدءاً من إثبات رأي هذا الفريق بالبرهان ولهذا أخذ أصحابه يجمعون نماذج من الأدب شعره ونثره ليقارنوها بالقرآن فألف الجاحظ كتابه « نظم القرآن » واسمه بدل على محتواه ولهذا عدّ الجاحظ أول المؤلفين في البلاغة وكتابه البيان والتبيين يصلح لأن يكون حجة على ذلك بما جمل من أبحاث ونظرات هي من صميم فنون البلاغة . وبذهب بعضهم الى أن الجرجاني هو أول من ألف في البلاغة ولا يصلح أن يطلق هذا القول من غير قيد فالجرجاني هو أول من نظم الأفكار التي قيلت في الموضوع وجعلها قواعد علمية وكتابه دلائل الإعجاز يصلح دليلاً على أن علم البلاغة نشأ من فكرة الإعجاز وكذلك الأمر في كتابه أمرار البلاغة وبنافس عبد القاهر في أولها مسائل في البلاغة والنحو وبذكر بأنه ليس في استطاعة أحد أن يدرك إعجاز القرآن إذا لم يحسن التمييز بين الأشكال المختلفة للتعبير وبتذوق جمالها .

- ٥٧١ -

والذي مهد للجرجاني السبيل إلى تأليفه كتاب دلائل الإعجاز تأليف محمد بن يزيد الواسطي في هذا الموضوع وهو مفقود الآن وقد بدأ الجرجاني بشرحه شرحاً صغيراً لمس عدم كفايته فشرحه شرحاً كبيراً في كتاب سماه المقتصد فلما ظهر له أنه مقصر عن الغاية التي يريد بها ألف دلائل الإعجاز بعده ، وليس بين أيدينا الآن كتاب الواسطي أو شرحا الجرجاني عليه لتبين لنا الصلة بين المؤلفين وندرس طورين هامين من أطوار التأليف في الإعجاز والبلاغة .

وجاء الفخر الرازي (٦٠٦ هـ) فاختصر كتابي الجرجاني ونظامهما تنظيمًا جديدًا في كتابه « نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز » فقدم نظرية الجرجاني في التنظيم بشكل أوضح . وهو يتكلم على الإعجاز أيضًا في تفسيره وفي كتابيه في علم الكلام : « معالم أصول الدين » و « محصل أفكار المتقدمين » . ولكنه لا يأتي من عنده بجديد .

ومن أشهر من ألف في الإعجاز على نهج عبد القاهر الجرجاني ابن أبي الإصبع القيرواني (٦٥٤ هـ) ألف كتاب « بيان البرهان في إعجاز القرآن » وعبد الواحد الزمלקاني (٦٥١) في « التبيان في علم المطلع على إعجاز القرآن » وحازم بن محمد القرطاجني (٦٨٤) الذي يقال إنه بحث هذا الموضوع في كتابه « منهاج البلغاء » وفي خزانة المدينة تصنيف للمؤلف باسم « البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن » . ولا بد من القول بأن كلمة إعجاز أصبحت تطلق مع مرور الأيام على علم البلاغة وأضاعت عند بعض المؤلفين المتأخرين مدلولها الأصلي اخص فوجد مؤلفاً وهو غياث الدين لطف الله (١٠٣٥ هـ) يضع كتاباً في البلاغة سماه « الإعجاز في علم الإيجاز » فلا يتكلم فيه إلا على المعاني والبيان ولا يبين العلاقة بين اسم تصنيفه وموضوعه . ولعل أكبر دليل على العلاقة بين فكرة إعجاز القرآن ووضع علم البلاغة العربية هو أن الإعجاز إذا أطلق يراد به البلاغة نفسها . ولا ينكر مالفكرة الإعجاز من فضل في سرعة وضع علم البلاغة يد أنها

قصرته على الموضوعات الخاصة بالقرآن دون غيره ، فلما صاغه المتأخرون في قواعد جافة ابتعدوا به عن الذوق الأدبي الأصيل وعن تنمية الشعور بجمال الأدب كما أنها منعت الأدباء أن ينهجوا نهج القرآن في أسلوبهم خوفاً من أن يتهموا بمعارضته ويتعرضوا لنقمة العامة . وربما كان السبب الأول في عدم تناول علم البلاغة لأبحاث كان يمكن أن يتناولها بكثرة يرجع الى جمود الفكر في العصور المتأخرة وما أصاب العالم الاسلامي عامةً والعالم العربي خاصةً من الأحداث التي عانت سيرهما في مضمار المدنية أكثر مما يرجع الى تحديد فكرة الإعجاز لموضوعات علم البلاغة .

وبعد فليست هذه الجماعات الأربع - التي بحث مسألة الإعجاز ، وهي جماعة المعتزلة وجماعة المتكلمين وجماعة المفسرين وجماعة الأدباء - مستقلة متباعدة أبداً فقد يجمع الرجل بين الأدب والاعتزال كالجاحظ وقد يجمع بين الاعتزال وعلم الكلام والتفسير كالزخشري ونزاهم جميعاً يستمدون البراهين بعضهم من بعض . ويبدو أن أقوم الطرق في البرهنة على الإعجاز وأحسن الوجوه في تعليقه ما جاء متأخراً منها في الزمن وقد تكلم المفسرون فيه بعد علماء الكلام وتكلم فيه هؤلاء بعد المعتزلة وآخر من تكلم فيه المؤلفون في علم البلاغة من الأدباء وهم خير من تكلموا فيه وأكثرهم توفيقاً .

ومن الخير أن انتقل بعد هذه المقدمة التي بينت فيها خطوط فكرة الإعجاز الرئيسة الى الكلام على من بحثوا فيها واحداً واحداً أصنفهم على حسب العصور التي عاشوا فيها ثم بحسب الجماعة التي ينتمون اليها .

* * *

التوسع في الكلام على أطوار الفكرة عند العلماء

القرن الثاني :

لم يصل إلينا مادون في هذا القرن من آثار مدونة في إعجاز القرآن مؤيدة أو منكرة . وهذا لا يعني عدم حدوث جدل في هذا الرأي ، فمن المؤكد أنها كانت من أعم المناقشات في الديانات بين المسلمين وغيرهم . وذلك من البدييات في مثل تلك البيئة الإسلامية . وقد اتهم بالزندقة في هذا العصر كثيرون ممن كان عهدهم حديثاً بالإسلام وقتلوا من أجل ذلك . ومن أشهرهم ابن المقفع فقد قتلته والي البصرة متعمداً إياه بالزندقة ونسب إليه بعضهم أنه عارض القرآن وألف كتاباً حمل فيه على الإسلام وانتقد القرآن . وأول من اتهمه بذلك القاسم بن ابراهيم الرازي (٢٤٦ هـ) فقد ألف رسالة « الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع » وهو يمرض فيها أقوال ابن المقفع في هذا الكتاب ويحاول أن يدحضها بالحجج .

واختلفت آراء المحدثين من المؤلفين في كتاب ابن المقفع ورد القاسم عليه . فعبد العليم الهندي ^(١) يرى أن الرسالة من تأليف القاسم ولكنه يشك في حقيقة نسبة الكتاب لابن المقفع وذلك دون تحقيق . والأستاذ أحمد أمين ^(٢) يشك كل الشك في نسبة الأصل لابن المقفع والرد للقاسم ويبين الوجوه التي تحمل على هذا الشك . والرافعي يتهكم بمن ينسبون معارضة القرآن لابن المقفع ويرفضها : (١) لأن ابن المقفع من أكبر البلغاء ولا يخفى عليه مقدار ما بينه وبين القرآن من تفاوت في البلاغة وعجزه عن معارضته . (٢) لأن من نسبوا إليه المعارضة

(١) في متاته في مجلة الثقافة الإسلامية :

The Islamic Culture N 1 and 2. 32 nd Year .

(٢) « ضحى الإسلام ج ١ ص ٢٢٥ و ٢٢٦ » .

زعموا بأنه أقلمع عنها بعد أن بلغ في معارضة القرآن الى آية : « وقيل يا ارض ابلعي ماءك . . . » من سورة هود أو بعد أن سمعها من صبي يقرأ القرآن فلا بمقل أن يقدم ابن المقفع وهو من هو في العقل والأناة على معارضة القرآن قبل أن يقرأه كله عدة مرات وكيف يقرأه ولا يطلع على هذه الآية إلا بعد أن يسمعها من صبي أو بعد أن يعارض قصماً كبيراً من القرآن .
(٣) لأن الدرة اليتيمة^(١) التي يزعمون أنه عارض فيها القرآن وربقات قليلة لا توازي ما بين أول القرآن والآية السابقة من حيث المقدار ولأنها مترجمة عن كتاب يزرجمهر في الحكمة وفيها عبارات متحلة من كلام الإمام علي في نهج البلاغة^(٢) .

ويرى الرافعي أن قول العلماء بأن ابن المقفع قد استجبا لنفسه من معارضة القرآن بعد وصوله الى هذه الآية كذب وضعوه ليدفعوا به كذب الملحدين في أن ابن المقفع عارض القرآن فعلاً ممتداً على قوته وفصاحته ولينتهوا من ذلك الى أن ابن المقفع في عظيم قدرته ورائع بلاغته اذا عجز عن معارضة القرآن فغيره أعجز ، ويقول بأن ابن المقفع إنما رمي بالمعارضة لأنه اتهم في دينه وبأن البلاء في عهده لم يكونوا يمترون في إعجاز القرآن وإنما كانوا يختلفون في وجوه إعجازه .

ويرجح أن الكتاب ليس لابن المقفع : (١) عدم النص عليه عند ذكر مؤلفات ابن المقفع غير رسالة القاسم بن ابراهيم الرازي السابق الذكر مع أن كتبه كانت معروفة مشهورة في العصر العباسي (٢٠) أن أسلوب الكاتب ليس

(١) لا ندري ماذا يريد الرافعي بقوله الدرة اليتيمة . فهل يقصد كتاب الادب الكبير الذي كان يطلق عليه خطأ اسم الدرة اليتيمة أو كتاب اليتيمة نفسه وهو مفقود واذا كان يقصد هذا الأخير فكيف اطلع عليه وكيف بنى حكمه .
(٢) يرى الأستاذ احمد أمين عكس ما يرى الأستاذ الرافعي فتهج البلاغة عنده قد اقتبس بضعه من الحكم للترجمة لأن بضعه في رأيه منقول .

عريباً على ما هو معروف من براءة ابن المقفع في الكتابة وجمال الأسلوب .
 (٣) أن حياة ابن المقفع لا تدل على أنه كان ضعيف الرأي حتى يرتكب ما عرف به . (٤) أن « يول كراوس » من علماء المشرقيات يرى أن كتاب « خدائي نامه » المنسوب لابن المقفع ليس له وإنما هو لمحمد بن المقفع فلا يبعد أن يكون هذا الكتاب أيضاً له أو لغيره أو أن أحد الثنوية قد ألفه وعزاه لعبد الله بن المقفع ليشتهر أو أن القاسم بن ابراهيم رأى الكتاب ولم يعرف صاحبه فظن أنه لابن المقفع لما عرف من اتهامه بالزندقة في حياته . هذا إذا أخذنا بالرأي القائل بأن الرد للقاسم بن ابراهيم نفسه وليس لغيره .
 ونستطيع أن نجزم بعد هذا كله بحقيقة واحدة هي أن القرن الثاني قد شهد تأليف كتاب في نقد القرآن ومهاجمة الإسلام ، وأن ابن المقفع كان في جملة الأدباء والمفكرين الذين اهتموا بمعارضة القرآن .

* * *

القرن الثالث :

بدأ الكلام في الإعجاز بصورة عليّة منظمة في بداية القرن الثالث أو أواخر القرن الثاني فقد رأينا كيف أرسل أحد رجال المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ) وهو عبد الله بن اسماعيل الهاشمي كتاباً الى صديقه عبد المسيح بن اسحاق الكندي يدعوه فيه الى الإسلام ويذكر فيه حجج النبوة ومنها القرآن ، ورأينا كيف أجابه المسيحي على كتابه وانتقد الإسلام ولم يجبه الى الدخول في الإسلام ، وفي هذا العصر ظهرت أكثر النظريات الرئيسة في الإعجاز صدرت عن أحرار الفكر والمعتزلة والمتكلمين ، وكثر الكلام في الدين والنبوة وبحث في الإعجاز على أنه فرع لها . نشأ ذلك لأن هذا العهد كان عهد الترجمة والاتصال بالثقافات الأجنبية ولا سيما اليونانية منها كما كان عهد حرية الفكر واختلاط أصحاب

الأديان المختلفة بعضهم ببعض فأدى تمازج هذه الثقافات وتصادم هذه الديانات الى تطور في الأفكار ونهضة عليّة كان من نتائجها ازدهار العلم والأدب في هذا العصر .

وظهرت المعتزلة وقويت وظهرت معها فتنة خلق القرآن وقدمه في نهاية القرن الثاني واشتدت أيام قاضي المتصم احمد بن أبي دؤاد (٢٢٠) وكان لا بد أن تبحث هذه المسألة كما كان من واجب المعتزلة أن يردّوا على أحرار الفكر والفلاسفة في مطاعنهم في الاسلام وظهر أول كتاب في الكلام لمؤلفه علي بن ربن الطبري في خلافة المتوكل (٢٣٣ - ٢٤٧ هـ) . كما تكلم عنها بعض الأدباء المعاصرين كالجاحظ ولم يصل إلينا كلام المفسرين في هذا الشأن إلا في بداية القرن الرابع . ونستطيع أن نصنف من تناولوا هذه القضية في العصر الثالث كما يلي :

١ - الى من ضعف عقيدتهم وأنكروا الإعجاز من أحرار الفكر وأرباب الأدبان ويمثلهم ابن الراوندي من المتفلسفة وعيسى بن صبيح المزدار من المعتزلة .

٢ - والى المعتزلة الذين جنحوا الى القول بالصرفة ويمثلهم النظام (٢٣٠ هـ) وابو اسحاق النصيبى وعباد بن سليمان وهشام القرظي وكانت وفاة الأخيرين حوالي منتصف القرن الثالث من الهجرة .

٣ - والى المعتزلة الأدباء كالجاحظ .

٤ - والى المتكلمين القائلين بإعجازه من جهة الأسلوب وأول من أرففه منهم علي بن ربن الطبري الذي سبق أن أشرنا اليه .

آ - آراء منكري الإعجاز :

من أشهر منكري الإعجاز في هذا العصر ابن الراوندي وعيسى بن صبيح المزدار .

١ - ابن الراوندي :

فأما ابن الراوندي فقد ذكر الرافعي أنه كان يقول إن في القرآن كذباً وسفهاً لأن فيه حروف هاتين الكلمتين (ص ١٤٣ من إعجاز القرآن للرافعي) م (٧)

وذكر في موضع آخر (ص ١٨٢ نفس المرجع) أنه أبو الحسين أحمد بن يحيى المعروف بابن الراوندي وأنه كان مشهوراً بالخط من الشريعة وأنه ألف في معارضة القرآن كتاباً سماه « التاج » وكتاباً في الطعن عليه سماه « الدافع » وقد طعن فيه على نظم القرآن ونقضه عليه الخياط وأبو علي الجبائي وذكر أنه نقضه على نفسه أيضاً وأنه كان يؤلف الكتب لأعداء الإسلام بأثمان يبيع منها ثم ينقضها بأثمان أخرى ولم ينقل من معارضته للقرآن شيء وإنما ذكر صاحب معاهد التنصيص أنه اجتمع بالجبائي وأخبره عن معارضته للقرآن فقال الجبائي له : « هل تجد في معارضتك له عذوبة ودشاشة الخ قال لا والله قال : قد كفيته فأنصرف حيث شئت . وربما وضعت هذه الرواية وضعاً للقول بأنه حاول المعارضة فحجز وأنه لم يكن مخلصاً يؤمن بآرائه بل يضر خلاف ما يملن . وذكر الرافعي له حجة في نقض النبوة وهي أن التحدي لا يصح أن يكون دليلاً على النبوة كما لا يصح أن يضع بطليموس أو إقليدس كتاباً في علم من العلوم ثم يتحدى الناس إلى وضعه فإن عجزوا صحت رسالته .

وذكر الدكتور كراوس أن ابن الراوندي قال في القرائن على مارواه المؤيد الشيرازي :

« إنه لا يمتنع أن تكون قبيلة من العرب أفصح من القبائل كلها وتكون عدة من تلك القبيلة أفصح من تلك القبيلة ويكون واحد من تلك المدة أفصح من تلك المدة إلى أن قال : « وهب أن باع فصاحته طالت على العرب فما حكه على المعجم الذين لا يعرفون اللسان وما حجه عليهم ؟ » .

وذكر كراوس أيضاً أن ابن الراوندي لم يكتف بنفي الإعجاز من جهة اللفظ بل تجاوز هذا إلى نقض القرآن من جهة المعاني أيضاً فقد روى عنه داعي الدعاة وبذلك ابن الجوزي في تاريخ المتنظم وعبد الرحيم البامبي في معاهد التنصيص وغيرهم كثيراً من المطاعن التي طعن بها في القرآن الكريم وقال : « إن أردت

أن تقف على مطاعن الزنادقة عامة على القرآن الكريم وعلى ردود المتكلمين عليهم فافراً كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار المعتزلي (٤١٥) .
وذكر عبد العليم الهندي أن ابن الراوندي كتب كتابه اندفاع لبعض اليهود عندما كان مقبلاً معهم في محبة فاراً خائفاً وأنه يشبه بعض الشيء من يسى بالرح الخمر (Free Lance) من صحفيي هذه الأيام الذي يكون لك وضدك من غير مبرر ويناصر كلاً من الفريقين بالحماسة نفسها وأنه لم يصلنا من كتاباته الكثيرة إلا أشياء وردت في كتب غيره وردود عليها .

٢ - عيسى بن صبيح المزدار :

وأما عيسى بن صبيح المزدار وتنسب إليه الفرقة المزداربة من المعتزلة فقد قال بخلق القرآن وكان مشهوراً بالزهد والورع وبلقب يراهب المعتزلة ولكنه كان يكفر الناس بسرعة حتى إنه كفى مرة أهل الأرض قاطبة وهو يرى أن الناس قادرون على مثل القرآن فصاحةً ونظماً وبلاغةً وعلى ذلك أصحابه (الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ط لندن ص ٣٨) .

نقد وتلخيص :

يعاب على ابن الراوندي عدم إخلاصه لحقيقة يؤمن بها فهو ينصر الرأي وضده لمال يقدم إليه وهذا العيب يبرأ منه عيسى بن صبيح المشهور بورعه وإخلاصه غير أن هذا كان كما يلوح لنا ضيق الفكر صريع الحكم والتعصيم ، يظهر ذلك من تكفيره أهل الأرض قاطبة على حين أن ابن الراوندي صرن الفكر قوي الحجة ينصر الرأي وضده ويشبه السفطائيين من فلاسفة اليونان . ويتفق الاثنان على أن في طاقة البشر معارضة القرآن وبكتفي عيسى بالقول بذلك أما ابن الراوندي فلا يكتفي بمجرد القول به بل يعارضه بكلام من عنده . وإذا صح أن ابن الراوندي قد قال إن في القرآن صفهاً وكذباً لوجود حروف

هاتين الكتين فيه دلّ ذلك على ضعف عقله وسفطائية صبيانية فيه وربما نسب إليه ذلك ليوصم بالحمق والجهل .
وقوله بأن التحدي لا يصحّ أن يكون دليلاً على النبوة محتجاً على ذلك بوضع بطليموس أو إقليدس كتاباً في علم من العلوم أو ببداهة اختلاف مراتب الناس في البلاغة وطول باع أحدّم فيها عليهم قول قويّ الحجة يدلّ على سعة تفكير صاحبه وامتلاكه أرمّة المنطق وإن كان لا يبلغ في قوته حدّ زلزلة فكرة الإعجاز من أذهان المؤمنين بها فإن الإيمان الديني هو الشرط اللازم الكافي للقول بها فإذا وجد وجدت وإذا زال زالت .

ب - رأي المعتزلة القائلين بالصرفة : (النظام) :

من أشهر المعتزلة القائلين بالصرفة وأولهم أبو إسحاق إبراهيم النظام (٢٢٠) وهو أستاذ الجاحظ في الاعتزال ، وكان يرى أن الإعجاز كان بالصرفة وهي أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها فكان هذا الصرف خارقاً للعادة وبهذا يكون الصرف هو المعجز لا القرآن نفسه ويروون له رأياً آخر في الإعجاز وهو أن القرآن إنما أعجز العرب لما فيه من الإخبار عن الأمور الماضية والآتية (إعجاز القرآن للرافعي ص ١٤٤) .
وذكر النخعي الرازي أن النظام قال : « إن الله تعالى ما أنزل القرآن ليكون حجة على النبوة بل هو كسائر الكتب المنزلة لبيان الأحكام من الحلال والحرام والعرب إنما لم يعارضوه لأن الله تعالى صرفهم عن ذلك وسلب علومهم به .
(نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز) .
ولم يصلنا شيء من كتب النظام أو أبحاثه وإنما عرفنا رأيه من الكتب الأخرى التي بحثت في هذا الموضوع . ونلاحظ أن القول بالصرفة يرجع في حقيقته إلى إنكار الإعجاز ولكن تحت ستار خادع من القول به وربما كان ذلك لاتقاء غضب السلطة أو الجمهور .

ج - آراء المعترلة الأدباء : (الجاحظ) :

كان الجاحظ معتزلاً ومن أئمة البيان وقد وضع كتاباً في إعجاز القرآن من جهة النظم والاصلوب سماه نظم القرآن . وقد وردت بعض آرائه في البيان والتبيين وفي كتاب الحيوان وفي كتب غيره من المؤلفين بعده في الإعجاز . ونرى الجاحظ يعتقد بالإعجاز ويذكر أن العرب على بلاغتهم عجزوا عن معارضة القرآن أيام صاحب الرسالة وذلك في كلام طويل يشرح فيه كيف قامت المشادة بين النبي والعرب بعد أن تحداهم الرسول أن يأتوا بمثل القرآن ويذكر له ما يدل على أن إدراك العرب لبلاغة القرآن المعجزة وقصورهم عنها كان بالدوق والشعور النفسي الداخلي وأن هذا القصور دليل على الإعجاز (الانتان للسيوطي ج ٢ ، ص ١٩٨) .

ومن الغريب ما ذكره الشهرستاني (في الملل والنحل ص ٥٣ ج ١ ط لندن) من أن ابن الراوندي حكى عن الجاحظ أنه قال إن القرآن جسد يجوز أن يقلب مرة رجلاً ومرة حيواناً ومثل هذا الرأي يضحك إذا نسب للجاحظ لما نعرفه عن تهكمه على مثل هذه الآراء .

وذكر للجاحظ قولان في الإعجاز : القول بالصرفة والقول بإعجاز الأسلوب فهل قال بالأول حين كان لا يزال متأثراً بآراء أستاذه النظام وبالتالي حين استقل بنفسه أو إنه جمع بين الرأيين معاً ؟ لا ندري ! فانه يذكر الرأيين في كتابه الحيوان (ج ٤ ص ٣١ و ٣٢) متتاليين تقريباً - فيقول فيما يتعلق بالصرفة : « ومثل ذلك ما رفع من أوهام العرب وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن بعد أن تحداهم الرسول بنظمه ولذلك لم نجد أحداً طمع فيه ولو طمع فيه لشكفه ولو تكلف بعضهم ذلك فجاء بأمر فيه أدنى شبهة لعظمت القصة على الأعراب واشباه الأعراب والنساء واشباه النساء ولألقى ذلك للمسلمين عملاً ولطلبوا المحاكمة والتراخي ببعض العرب ولكن القليل والقال فقد رأيت أصحاب

مسيلمة واصحاب بني النواحة إنما تعلقوا بما ألف لم مسيلمة من ذلك الكلام الذي يعلم كل من سمعه انه إنما عدا على القرآن فسلبه واخذ بعضه وتعاطى ان يقارنه فكان لله ذلك التدبير الذي لا يلفه العباد ولو اجتمعوا له .

وبقول فيما يتعلق بإعجاز النظم والأسلوب : « فلم يبق له رأي - اي للدهري الذي لا يقول بالتوحيد - إلا ان يسألنا عن الأصل الذي دعا الى التوحيد والى تثبيت الرسل في كتابنا المنزل الذي بدلنا على انه صدق نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد مع ما سوى ذلك من الدلائل التي جاء بها من جاء فيه » .

ويذكر الجاحظ في الحيوان (ج ١ ، ص ٥) ما يفهم منه انه ألف كتاباً في نظم القرآن وغريب تأليفه - وقد وضعه ردّاً على بعض المعتزلة الذين قالوا بأن فصاحة القرآن غير معجزة وهذا أول كتاب افرد في الإعجاز كما يقول الباقلاني الذي سبى تقدمه له فيما بعد - وانه ألف ايضاً كتاباً اسمه « الحجة في تثبيت النبوة » وهذا يدلنا على تعرضه لعدة مسائل كلامية كان المعتزلة يعالجونها .

وانا استبعد ان يكون الجاحظ قد قال بالرأيين معاً في وقت واحد لما نعرفه عنه من قوة التفكير ووضوح الحجة فان الرأيين متناقضان . ولم يتوسع الجاحظ في شرح نظرية النظم والاستشهاد عليها بأمثلة من القرآن ومن كلام العرب كما فعل من قالوا بها بعده كعبد القاهر الجرجاني لأنه - اي الجاحظ - كان أول من قال بها . وله فضل وضع الأسس التي شيد عليها أخلافه صروح حججهم .

د - المتكلمون القائلون بإعجاز القرآن من جهة الأسلوب :

علي بن ربن الطبري :

ظهرت مسألة الأسلوب مبكرة في إعجاز القرآن ظهوراً واضحاً في كتاب الدين والدولة لابي بن ربن الطبري معاصر المتوكل ص ٤٠ حيث يقول : « حينما كنت مسيحياً كنت أقول كما يقول عمي لي متعلم بليغ بأن أسلوب القرآن

ليس معجزاً وليس من علامات النبوة لأنه في استطاعة الناس كلهم ولكن عندما حاولت تقليده واطلعت على مدلول كبره عثت ان أتباع القرآن على حق فيما بدعوه له لأنني لم أطلع على كتاب بأمر بالخير وينهى عن الشر وبقدم شريعة الله والعقيدة في النبوة وإلهام الرغبة في الجنة والبعد عن النار كالقرآن فعندما يحمل لنا شخص كتاباً يحمل نفس المميزات ويوحى إلينا بهذه الطلاوة وهذه الروعة في القلوب ويجوز مثل هذا النجاح ويكون بنفس الوقت أمياً لم يتعلم أبداً فن الكتابة والبلاغة فهذا الكتاب يكون بلا شك إحدى علامات نبوته « فالمعجز عند ابن ربن الطبري إذن هو هدف القرآن الاصلاحى وتحقيقه هذا الهدف وأوامره ونواهيه وإخباره عن الجنة والنار وأسلوبه الطلى الرائع يرغم أمية النبي .

* * *

القرن الرابع :

من أهم من كان لهم كلام في موضوع الإعجاز في هذا العصر أو لم صلة به المتنبي شاعر العربية الكبير فقد اتهم بمعارضة القرآن ، وأبو الحسن الأشعري الذي كان في اول أمره معتزلياً ثم تحول الى مذهب أهل السنة وصار من أشهر متكلميها الذين نافخوا عنها ، وبندار الفارسي المتكلم ، والطبري والقسي المفسران ، والواسطي والرمثاني والخطابي المتكلمون الأدباء ، وأبو هلال العسكري الأديب ومنلخص آراءهم وما قيل فيهم على الترتيب مصنفين يجب الطوابع الفكرية التي امتازوا بها .

١ - المتنبي :

اتهم في هذا العصر أبو الطيب احمد بن الحسين المتنبي الشاعر (٩٢٥٤) بأنه ادعى النبوة وعارض القرآن وحبه والى حمص من أجل ذلك .

وقيل إنه ادعى النبوة في حادثة أمره في وادي السماوة - بين الكوفة والشام - وتبعه خلق كثير من بني كلب وكان يتظاهر أمام الناس بالقيام بالخوارق وقد ذكر المعري بعضها في رسالة الففران (راجع ص ٢٢٠ من رسالة الففران) .
وقيل إنه تلا على البوادي كلاماً زعم أنه قرآن أنزل عليه يحكون منه سوراً كثيرة وإن ابن حامد قال : « نسخت واحدة منها فضاعت مني وبقي في حفظي من أولها : » والنجم السيار والفلك الدوار والليل والنهار إن الكافر لي أخطار ، امض على سننك واقف أثر من كان قبلك من المرسلين فإن الله قامع بك زبغ من ألد في دينه وضل عن سبيله » .

ويقول الراجزي إن هذا لا يساوي ثره ولا شعره بلاغة مما لم يقصد به أن يكون قرآنًا كقول به عاتب صدقاً له زاره في مرضه وانقطع عنه في إبلاله : « وصلني وصلك الله مبتلاً ، وقطعتني مبيلاً فإن رأيت ألا تحجب العلة إلي ولا تكدر الصحة علي فملت إن شاء الله » . (إعجاز القرآن للرافعي في الكلام على من عارضوا القرآن) .

٢ - أبو الحسن الأشعري المتكلم :

وفي هذا العصر يتعرض لهذا المبحث أبو الحسن الأشعري (٣٢٤) في كتبه ولكن هذه الكتب ضاعت وليس فيما بقي منها كلام فيه ووصلنا شيء من أفكاره عنه في كتب أخرى لغيره من المؤلفين (مقالة عبد العظيم الهندي السابقة) .
وجمل ما ذكر عنه من الآراء يتلخص فيما يلي :

(١) ذكر ابن حزم (الفصل في الملل والتجمل ص ١٥ فصاعداً) قولاً روي عن الأشعري وهو أن المعجز الذي تجدى الناس بالحيء بمثله هو الذي لم يزل مع الله تعالى ولم يفارقه قط ولا نزل إلينا ولا سمعناه . ويرد ابن حزم على ذلك بأنه لا يمكن تحديدهم بشيء لم يروه ويمكن أن تفهم من قول الأشعري أن الرآن الذي بين أيدينا غير معجز .

٢ - ذكر ابن حزم (المرجع السابق نفسه) والرافعي (ص ١١٢ من إعجاز القرآن) أن مقدار المعجز عند الأشعرية مقدار أقل سورة في القرآن وهم يحتاجون على رأيهم هذا بقول القرآن : « قل فأتوا بسورة من مثله » وقالوا ولم يتعد القرآن بأقل من ذلك .

ولا يوضح هذان الرايان رأي الأشعري في الاعجاز فالأول يمكن أن يفهم منه أن الأشعري لا يقول باعجاز القرآن الذي بين أيدينا ، والثاني لا يتكلم إلا على أقل مقدار تحدى فيه القرآن العرب .

٣ - بندار الفارسي المتكلم :

ويتكلم ابو حيان التوحيدي في مسألة الاعجاز (الاتقان بحث الاعجاز ص ١٩٨ من الجزء الثاني) فيذكر رأي بندار الفارسي في الاعجاز فيقول : « سئل بندار الفارسي عن موضع الاعجاز من القرآن فقال هذه مسألة فيها حيف على المعنى وذلك شبهه بقولك ما وضع الانسان من الانسان فليس للانسان موضع من الانسان بل متى أشرت الى جملة فقد حققت ودلت على ذاته كذلك القرآن لشرفه لا يشار الى شيء منه إلا وكان ذلك المعنى آية في نفسه ومعجزة لمحاولة وهدى لقائله وليس في طاقة البشر الاحاطة بأغراض الله في كلامه وأمراره في كتابه فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده .

ويظهر لنا من كلام بندار أنه متكلم يريد أن يحسن التلخيص فالقرآن معجز لأنه معجز ولأنه كلام الله فمن البدهي إذن أن يكون كلام البشر دونه وبلا حظ أنه عوضاً عن أن يستدل بالاعجاز على صحة النبوة وأن القرآن لذلك كلام الله عكس الآية ففرض ان كونه كلام الله قضية مسلمة وأنه لذلك كان معجزاً وهو يصور لنا انحرافاً خاصاً في فهم مسألة الاعجاز لم يكن عند الأولين .

٤ - الطبري المفسر :

وفي هذا الزمن نرى الطبري المفسر (٣١٠) يتكلم في تفسيره عن الإعجاز خلال تفسيره لآية التحدي من سورة البقرة (سورة ٢ آية ٣٣ - ٣٤) وقد ذكرت في المقدمة شيئاً عنه وعن ميزة كلامه في هذا الموضوع بين المفسرين ويجمل ما كتبه في تفسير هذه الآية (ص ٦٥ ج ١ من تفسيره) يخلص بما يلي :

١ - القرآن معجزة باقية أبد الدهر لا يستطيع الجن والإنس في كل عصر الإتيان بمثلا في اليبات .

٢ - القرآن معجز لما فيه من القدرة على إثباته ما يقصده المتكلم .

٣ - تحدى القرآن العرب بمثل القرآن الذي هو بلفتهم ومعاني منطقته موافقة معاني منطقهم (وبلاحظ هنا أنه يقصد بالمنطق اللفظ لا العلم المعروف) .

٤ - عجز العرب عن معارضته الا من أتى بسخافات من نوع أقوال ميلمة « والطاحات طحناً الخ » .

٥ - ذكر الوجوه التي تنفادت فيها الكلام بلاغةً وما ورد منها في اللسان العربي وهي في جملتها لا تخرج عما يطرقه علم البلاغة من أبحاث التقديم والتأخير والاستمارة والإيجاز والإطناب .

وعرض الطبري لمسألة النظم فقال : « ومن أشرف تلك المعاني التي فضل بها كتابنا سائر الكتب قبله نظمه العجيب ووصفه الغريب وتأليفه البديع الذي عجزت عن نظم مثل أصغر سورة الخطباء وكلت عن وصف شكله البقاء وتحيرت في تأليفه الشعراء ... الخ (ص ٦٥ ج ١ من تفسير الطبري) .

نسيم الحمصي

(يتبع)

كتب مصورة في خزانة المجمع العلمي العربي - ٢ -

الحماسة البصرية :

- لأبي الحسن علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري - ٦٥٦ هـ . يتبدى
- بالمقدمة ثم يتلوها باب الحماسة وأوله قصيدة لعمر بن الاطنابة الانصاري .
- والنسخة بخط جميل مشكول عدد أوراقها ٣١٩ من المكتبة « نور عثمانية » .
- وقد حصلنا على صورتها بطريق الإدارة الثقافية للجامعة العربية .

ديوان الفزي :

- لأبي اسحق ابراهيم بن عثمان بن محمد الكبي المعروف بالفزي . افتتح
- بمقدمة تزيد على الصفحة أولها بعد البسملة : وما توفيقي الا بالله وحده ، قال
- الشيخ الامام الأدب أوحده الزمان ابو اسحق . . . ثم تتلوها القصائد بخط أقرب
- الى الرداءة . عدد أوراقه ١٢٠ ورقة . والديوان . صور من المكتبة الأهلية في باريس .

ديوان ماماي الرومي :

- لمحمد بن احمد بن عبد الله الرومي الانجشاري احد أجناد الشام الشهير
- بماماي والمتوفى سنة ٩٨٥ للهجرة . ناقص الأول تقصاً يسيراً يتبدى بقصيدة أولها :
- بروق حمى نجد شجاني ابتسامها خفى لمني أن يسح غمامها
- والنسخة بخط جميل مقروء غير مشكول بقلم نخ كُتبت سنة ١٢٢٦ للهجرة .

عدد أوراقه ٢٢٢ ورقة من جامعة الدول العربية «معهد أحياء المخطوطات»
وقد صور هذا الكتاب في دار الكتب البلدية بالاسكندرية .

ديوان أسامة بن منقذ :

لمؤيد الدولة أسامة بن منقذ بن مرشد بن مقلد الكناني - ٥٨٤ هـ - :
وهو ديوان مرتب على الأبواب ، أولها : باب الفزل ثم المكاتبات ثم الشكوى
والفراق الخ ٠٠٠ نسخ سنة ٦٨٨ هـ بخط عبد العزيز بن احمد المعجمي وهو خط
جميل مقروء . عدد أوراقه ١٩٥ ورقة من مكتبة دار الكتب المصرية .

ديوان ابن أبي حصينة السلمي المصري :

نسخة قيمة فريدة من جامعة الاسكوريال ناقصة الأول كتبت بخط جميل
مقروء أولها قصيدة تبدى بالبيت التالي :
فالراجح اللب بأبي أن يحمله وزرأهوى الرجح الا كفال في الأزر
وهذا المجلد هو الجزء الأول من ديوان ابن أبي حصينة . وقد جاء في آخره
إشارة الى أن الجزء الثاني يتلوه مبتدئاً بأرجوزة في المدح . عدد أوراق
هذا القسم ١٢٢ ورقة .

ديوان عبد المحسن الصوري :

لأبي محمد عبد المحسن بن غالب بن غلبون الصوري . وهو ديوان تام
لشاعر ، تفضل رئيس المجمع العلمي العراقي باهداء صورته الى شقيقه المجمع العلمي
المري في دمشق . وقد رتب على القوافي يقع في ١٢٦ ورقة وجاء في آخره
مانصه : « نقلت نسخة هذا الديوان من نسخة تقيية وجدت في جملة كتب
آل السيد عيسى البغداديين ٠٠٠٠ وهي نسخة تقيية ٠٠٠٠ خطها مقبول ويظهر
انها من مخطوطات القرن السادس او السابع وقد جاءت في ثلاثة وعشرين
كراساً بالقطع المتوسط في كل كراس عشر ورقات وفي كل صفحة خمسة عشر سطراً .

ديوان الخياط :

لأبي عبد الله أحمد بن محمد الخياط . وهو ديوان جميل النسخ مشكول بعض الشكل ، رتب على الحوادث والمناسبات ولم يرتب على القوافي . أكثره في المدح يقع في ثمان وصبعين ورقة من مكتبة دار الكتب المصرية .

مرآة الزمان لسبط بن الجوزي :

في المجموع من هذا الكتاب لابن الجوزي مجلدات مختلفة وصفها كما يلي :

المجلد الأول :

تام الأول . يتندي بالمقدمة ثم يسرد الفصول الخمسة التي يشتمل عليها هذا الجزء : الفصل الأول في معرفة التاريخ وهل فرقت العرب بينه وبين التورخ . الفصل الثاني في عيون التواريخ والآثار وأسانيد الأخبار . الفصل الثالث في انقضاء مدة العالم وما تقدم من السنين وتقادم . الفصل الرابع فيما ينبغي للمؤلف استعماله من الكلام المنسق النظام . الفصل الخامس في تراجم الأبواب . ينتهي هذا الجزء في « فصول ذكر نبينا ﷺ » ، فصل في ذكر نسبته وأجداده ، وفصل في ذكر أبيه عبد الله . يقع في ٢٤٦ ورقة وهو ناقص الآخر من مكتبة المتحف البريطاني .

المجلد الثاني :

ناقص الأول والآخر يتندي بنهاية السنة الخمسين بترجمة المغيرة بن شعبة ، ذكر صفته واسلامه وطرف من ذكائه ووفاته وأزواجه وأولاده ثم تدخل السنة الحادية والخمسون وينتهي هذا الجزء بالسنة التاسعة والثمانين وفيها انتح العباس ابن الوليد ومسلحة سورية وعمورية . . . الى ان يصل الى أول ترجمة عمران

ابن حطان الدومسي الخارجي وهنا يبدأ خرم آخر الجزء . يقع في ٣١٤ ورقة
وقد سقط من وسطه ثلاث وعشرون ورقة من ٢٨٨ حتى ٣١١ وهو من المكتبة
الأهلية في باريز .

المجلد الثالث :

هذا الجزء كتابه مخروم من أوله ومن آخره . يتبدى بآخر سنة خمس
وسبعين ومائة فيتكلم عن حج الرشيد بالناس في هذه السنة وينتقل الى ذكر
من توفي فيها من الأكابر كالريبع بن يونس بن محمد والليث بن سعد بن
عبد الرحمن ابى الحارث والمنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة ثم يتلو ذلك
بقية السنين من سنة ست وسبعين ومائة حتى أول سنة اثنين ومائتين حيث يبدأ
خرم نهاية الجزء . يقع في ١٥٣ ورقة من المكتبة الأهلية في باريز .

المجلد الرابع :

هذا المجلد من كتاب المرأة هو الجزء السادس فقد جاء في آخره مانعه :
« يتلوه إن شاء الله تعالى في الجزء السابع السنة الثانية والثمانون بعد المائتين » .
يقع في ٢٣١ ورقة . يتبدى بالبسملة والاستعانة والكلام عن السنة التسعين
بعد المائة وينتهي بحوادث السنة الحادية والثمانين بعد المائتين . من المكتبة
الأهلية في باريز .

المجلد الخامس :

حوادث هذا الجزء تقع من السنة التاسعة والسبعين بعد المائتين حتى السنة
السنين بعد الاربعمائة . أوراقه ٢٦٢ ورقة وقد اختلف خط الصفحة الأولى
عن بقية الصفحات وهو من مكتبة المتحف البريطاني .

المجلد السادس :

يبتدي هذا المجلد بحوادث السنة الثامنة عشرة بعد المائتين وينتهي بحوادث السنة الثامنة والسبعين بعد المائتين في خلافة المعتضد بالله وهو يقع في ٢٥٥ ورقة نام الأول والآخر من مكتبة المتحف البريطاني .

المجلد السابع :

كتب في أول هذا المجلد على الورقة الأولى أنه الجزء الثاني عشر من مرآة الزمان وقد ابتدأ بالبسملة والصلاة ثم حوادث السنة الأربعين والأربعمائة وانتهى بحوادث السنة السابعة عشرة وخمسمائة . وهو تام من أوله ناقص من آخره . فسهل المجمع تسهيلاً لحفظه الى قسمين :

- القسم الأول : وتبدأ حوادثه في سنة ٤٤٠ هـ وتنتهي بحوادث سنة ٤٦٧ هـ .
- والقسم الثاني : وتبدأ حوادثه في سنة ٤٦٨ هـ وتنتهي بحوادث سنة ٥١٧ هـ .
- وهو من المكتبة الأهلية في باريس . مجموع أوراقه في القسمين ٣١٦ ورقة .

المجلد الثامن :

هذا المجلد هو الجزء السادس عشر من مرآة الزمان . تتضمن أوراقه حوادث السنة الثامنة والخمسين بعد الثلاثمائة حتى السنة الأربعمائة . يبدأ بالبسملة وذكر ماجرى بين أولاد ناصر الدولة وينتهي بترجمة أبي عبد الله القمي التاجر المصري يراز خزانة الحاكم . وقد ذكر في آخر المجلد أنه « نجز الجزء السادس عشر من مختصر مرآة الزمان على التمام والكمال ويتلوه في الجزء السابع عشر السنة الحادية والأربعمائة » . كتب هذه النسخة أحمد بن العلم بن عبد الله الحكيكي . وهي تقع في ٢٤٦ ورقة من المكتبة الأهلية في باريس .

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة:

في خزانة المجمع الجزيان الأول والثاني من نشوار المحاضرة للقاضي أبي علي المحسن التتوخي . وقد نسخا في القرن السابع بخط نسخ نفيس ، عدد أوراق الجزء الأول ١٠٤ ورقات وأوراق الثاني ١١١ ورقة وقد رقت أوراق الجزأين بالتسلسل حتى وصلت إلى ٢١٥ ورقة . وهو من مكتبة مراد ملا بطريق الجامعة العربية .

نبذ ونصوص تاريخية للنميري:

فيه حوادث تاريخية من النبي (ﷺ) إلى المنبئ لله يوسف العباسي وأرجوزة في خلفاء والسلاطين لأبي العباس أحمد الباعوني وذكر تواريخ خلفاء بني العباس وأسمائهم ومدة خلافتهم والمقود الدرية في الأمراء المصرية . من مكتبة المتحف البريطاني .

(يتبع)

•••••

التعريف والنقد

زوابع

ديوان شعر للأستاذ مارون عبود

طبع ديوان (زوابع) في دار المكشوف ببيروت ، عام ١٩٤٦م ، على ورق صتل من القطع الكبير ، طبعاً جيداً ، وقوراً ، لا تجد فيه تلك الزينة المستهتره التي يحلي بها دعاة الأدب العاري قصصهم ودواوينهم ، وهو يقع في أزيد من ثلاثمائة صفحة ، ولعل أيمانه أقل من ألني بيت : هذا هو وصف الديوان الطباعي أو الحاسبي ...

أما مادة الديوان فقد وصفها المؤلف بأنها « رسالة قومية من قلب هذا الشرق النابض » ، وإنها رسالة قومية ، ولكنها تنبع من قلب مارون عبود ، وهو خير من قلب الشرق ، الذي يشبه رأس التنين ... كثرة !

في « زوابع » شعر قومي ، يمجّد العروبة ويدعو الى الاعتزاز بالوطن والتمحاب فيه والنفرة من المستعمر ، ويهيب بأبناء البلاد من مختلف المذاهب الى الخروج من أفق التعصب الضيق الى أفق العروبة والانسانية الرحيب ، فمؤلف الديوان صورة رفيعة للبناني العربي الذي نابذ التعصب الديني وانطلق بكرم كل قيمة فكرية في بلاده ، سواء أكانت مسيحية أم مسلمة ، فحسبه أنها عريية !

من كان بتصور مارونياً (سوى مارون عبود) يقول في الحجاز :

(وأما الحجاز مقام النبي التي شرف الله جدرانها

فوف تظل لنا قبلة تحت لها الناس أظمانها

أو بقول في الاسلام مخاطباً الرسول :

(دين تدفق حكمة وتجودا كالبحر لفظاً والسماء معاني
ألف منه وحدة كونية البعد والمولى بها ندان

* * *

فلتحن الأجيال إجلالاً اذا ذكر النبي الأظهر العدناني

... ويذهب مارون عبود الى أبعد من شعره ، فيسمي ابنه البكر (محمداً)
وتقوم عليه قيامة الدنيا المارونية ، ولكنه لا يبالي بسخطها ولا بوعيدها ، ويخلد لنا عمله
الكبير ، الذي كان يشبه تفجير القنبلة الذرية ، في قصيدة لطيفة بقول فيها :

(خفف الدهشة واخضع ان رأيت ابن مارون سميّاً للنبي

أمه ما وضعته ملأاً أو مسيحياً ولكن عربي

والنبي القرشي المصطفى آية الشرق ونجر العرب)

وبعد .. فان ديوان (زوابع) يقرأ في كثير من اللذة ، وفيه أبيات بارعة ،
ولكنه لا يجمل من مارون عبود شاعراً من الطبقة الأولى ، وفي الديوان
كثير من تقط الضعف الفنية التي ينكرها الأستاذ عبود على الشعراء الآخرين ،
ولذلك قال لنا في مقدمة ديوانه ، بأسلوبه الساخر المحبب :

« هذا هو مارون عبود الشاعر ، أما مارون عبود الناثر فهو رجل غير هذا ...
افهم يا صاحبي ، إن الناقد يعرف الذهب ويميزه ، وإن عجز عن خلقه . فان
رأيت عند هذا المارون ما لا ينطبق على آرائه في الشعراء ، حين ينتقد غيره ،
فكن مثاكراً أن مارون الناقد لن يرحم مارون الشاعر . فوالله ، وبالله ، وتالله ،
لأؤدبه أدباً صارماً ، ولأحملن عليه ، كما حملت على غيره ، حملات غواشم ... »



محددون ومحترون

تأليف مارون عبود

٢٢٨ صفحة . طبع دار العلم للملايين ، عام ١٩٤٨

يدعو الأستاذ عبود في فاتحة هذا الكتاب الى التجديد والابداع في الأدب العربي ، وترك التقليد ، الذي يسميه (الاجترار) ، ويشبه الجديد بالكنة ، والقديم بالحماة ، ويصف لنا المشادة الدائمة بينهما وصفًا لبنانياً (بلدياً) ، يخاطب الحواس والعقل معاً ، والأستاذ ، بعد ، مولى بالحكايات والأمثال البلدية ، لا يخلو منها كتاب من كتبه ، فمن طلب الأدب العامي اللبناني أو (الفولكلور) وجده هناك . . فهذا الأديب ، الذي ينتبع حركة الأدب العربي كأحد تقاده ، حريص على تنويع كتاباته كلها بلون محلي خاص ، وبذلك يجمع بين « الاقليمية » و « العالمية » .

يقول لنا الأستاذ عبود :

« لندع المحترين ينبلغون بما في بطونهم ولتخلق طعاماً جديداً . ان في الأدب أزياء تتجدد . إن البساتين تحتاج دائماً الى التطعيم ، والآداب بساتين الشعوب ، فلنطعم أديبنا فقد أصبح برياً » .

ويقول لنا أيضاً — وإن كان يكره لفظة أيضاً :

« .. قرأ شبابنا آداب الأئمة فأغرستهم بالخلق ، ففهمهم لم المحاربون القدماء ، يريدون أن تظل الجبهة في اليبداء ، فقالوا : ليس هذا من كلام العرب ! إن الشعر معمل تصنع فيه التعابير ، ولهذا يحق لنا أن نقول للشاعر : كن كيف شئت ، إلا اثنين فلا تقربهما أبداً ، النحو واللغة ! » .

.. وينقل بنا الأستاذ عبود من مقدمته « النظرية » الى « التطبيقات العملية » فيحل لنا شيئاً من شعر بشارة الخوري وأمين بخلة ويوسف غصوب والياس ابوشبكة

وامين تقي الدين ومحمد رضا الشبيبي وابراهيم المريض واحمد الصافي النجفي وعمر ابوريثة ونازك الملائكة وينهي كتابه بكلمة صغيرة في أدب المهجر .

قد يرضيك رأي الأستاذ عبود وقد يفضبك ، ولكنك ستمجّب بقوة حجته وبراعة أسلوبه ، وعندى أنه كان قاسياً شديداً على النجفي والأخطل الصغير ، فقد اكتفى من شعرهما بأبيات تشبع شهوته الى السخر والتفنيد . . والتأديب !

نحن مع الأستاذ في صف الكنة والجديد ، ولكننا لا ننكر ، مثله ، على الشعراء استعمالهم تراكيب قديمة ، كخشفة مصدور ، وصق الله ضريحه ، والله دره ،

وبعد الثريا عن الثرى الخ . . الخ . . فهذه التعابير يوجد مثلها في كل لغة ، ولا يقدح استعمالها في أدب كاتب او شاعرية شاعر ، فليس معنى الابداع

أن ينشئ كل أديب لغةً كلها جديدة ، وتعابير كلها أبتكار ، وإنما الابداع ان يزيد الأديب في ثروة الأدب ، التي تنمو ولا تنقطع ولا تغيب ! ونحن ، شئنا أم ابينا ،

نستعمل في احاديثنا ورسائلنا كثيراً من الكلمات والتعابير القديمة في معان طريفة واغراض متجددة ، فاذا قلنا : « سلام عليكم » ، فلا يعني هذا اننا مجنون ،

لأنه لا يطلب منا ان نخترع كل يوم كلاماً جديداً في تحية الناس !! . .

ينكر الأستاذ عبود على لسان الدين الخطيب مطلع قصيدته :

(جادك الفيت اذا الفيت همى بازمان الوصل في الأندلس)

ولماذا هذا الانكار ؟ لأن ابن الخطيب — كما يقول — (شغل عقله تصور

شاعر الصحراء المتقدمة احشاؤه ، فأنساه نوالي المطر وغزارته في الأندلس ،

فنظم كأنه يثرب او منى) . . وليس الأمر كذلك ، إنما هو دعاء معروف ،

مألوف ، كتعبير « سلام عليكم » ! وهب ارض الأندلس لا تحتاج الى الفيت

(ومن بدري ؟) فان ذكرى الأندلس تحتاج الى من يسقيها ويتمهدا حتى تدوم

لما خضرتها ونضرتها ، وليس شيء أقوى من صورة الفيت في تأدية رسالة

الاحياء والبعث .

على المحك !

تأليف مارون عبود

٢٩٠ صفحة من القطع الصغير . طبع دار العلم للملايين بيروت عام ١٩٤٦

كتاب من نسيج «مجددون ومبتكرون» وضحاياهم الصافي وبشارة الطوري والرسافي والزهاوي والملاط والمقاد ، وغيرهم ، وهو من الكتب التي تفيد قراءتها الناقد والشاعر ، فالناقد تقوي عنده ملكة النقد والسخر ، والشاعر تجنبه مواطن الضعف والقبح ، والسعيد من انعط بغيره !

يوطي الأستاذ عبود لكتابه بكلمة الشيطان لأيقان في رواية كرامازوف :

« يجب أن تشك وتجدد ، فبدون الشك والجحود لا نقد .. »

يجب أن أنتقد ، لأن النقد أصل الحياة .. »

وهذه الكلمات تضع في يدك مفتاح الكتاب كله !



الرؤوس

تأليف مارون عبود

٣٣٣ صفحة من القطع المتوسط ، طبع دار للكشوف بيروت ، عام ١٩٤٦

بعرض علينا المؤلف ، في هذا الكتاب ، « رؤوس » الشعر العربي ، من امري القيس الى شوقي ، وقد قدم بين يدي كلامه على شعراء الجاهلية مقدمة حلل فيها « قضية » العربي وأظهر أثر الصحراء في فكره وحسه ، ثم عدد شعراء الجاهلية ، أصحاب المملكات ، ووصفهم بكلمات قليلة لا غناء فيها ، وانتقل الى شعراء الاسلام ، فتحدث عن شعراء العصر الأموي الهجائيين ، الأخطل

وجرير والفرزدق ، وسهام « الثالث الأنجس » ثم تحدث عن غزل عمر بن أبي ربيعة ،
 ووجد له كنية تليق به وتذكر الناس بيزير النساء في الغرب « دون جوان »
 — ولعلك عرفت هذه الكنية ، فهي « أبو جوان » — وانتقل الى عصر العباسيين
 فحدثنا عن بشار وأبي نواس وأبي تمام ودعبل وابن الرومي والبحتري حديثاً موجزاً
 ولكنه يكشف لنا عن أبرز خصائصهم . أما (المتني) مالي الدنيا وشاغل الناس ،
 فقد أخذ ثلث كتابه تماماً ، وما قاله فيه :

(ليس شعر المتني دواء يؤخذ بالغم بل بالدم ، فهو حامل رسالة العروبة ،
 وهو شاعرها القومي الباقي . لم تكن نافذته مسدودة ، فأطل منها على الدنيا
 بأسرها ، أما مخيلته فكانت كالرياح التي أرسلها الله لواقع . وبعد ، فالمتني
 مركب غريب عجيب ، كأنه عنى نفسه حين قال : كأنك من كل النفوس مركب .
 فيه جفاء الفرزدق ، ورقة جرير ، ووصف الأخطل ، وتفكير الفلاسفة ،
 وخيال الشعراء العظام وهو الذي خطا بالشعر أعظم خطوة ، فجعل لفته لغة الناس
 المألوفة . وإذا كان حد الشاعر والكاتب الكبير كما قال فاكه : (أي أنهم
 لا يكتبون بعده كما كانوا يكتبون قبله) ، فيكون هذا هو .

شبه المؤلف المتني بفيكتور هوغو ، وما نرى هذا التشبيه إلا بعيداً ، ورد
 على كثير من الآراء الخاطئة التي تورط بها طه حسين في كتابه (مع المتني) ،
 ومنها زعمه أن البيئة المصرية المثقفة المفكرة هي التي أتقنت شعر المتني من هذا الفساد
 الذي دبّ إليه في البيئة الشامية ، ومن هذا التكلف الذي يميته الذوق السليم !
 وما قاله الأستاذ عبود ، وأحسن ، في الرد على هذه الناحية :

(اتنا أرسلنا المتني الى مصر ناضجاً كل النضج ، بعد أن قضى في محيطنا سنين
 أمت ذوقه وصيرت بصره رطباً وتمرّاً وأذهبت كثيراً من جفاء طبعه ولسانه .
 فاللهجة الشامية التي هي أصح لهجات العرب والتي تكاد تكون حتى اليوم فصيحة
 التي هي أصبغ على أسلوب الشاعر العظيم هذه الروعة وهذا الأسلوب البعيد

عن الكلفة والمعجمة ، بل هذه التعابير الدمشية التي يفوح من أردانها عرف المدينة وأريج الحضارة) .

وبترك المؤلف المتنبئ ، الذي استوقفه طويلاً طويلاً ، ليحدثنا في كثير من الإيجاز عن الشريف الرضي ، فالموشحات الأندلسية (وهنا ينقل إلينا عن الشيخ فيليب الخازن أن شعراء الغرب قلدها موشحات الأندلسيين وأخذوا عنها القافية ، التي كانت مجهولة عندهم من قبل) ثم يحدثنا بلغة البرق (أو البرقيات ، إذا شئت) عن ابن الفارض وبهاء الدين بن زهير و « الرؤوس الصغيرة » التي اشتهرت بالقصيدة أو بالأبيات ، وعن شعراء جبل لبنان الذين ظهروا في عهد الأمير الشهابي ، وكانوا فجر النهضة الجديدة في دنيا العرب ، ويختم كتابه بالكلام على شوقي .

رواد النهضة الحديثة

تأليف مارون عبود

٢٢٤ صفحة . طبع دار العالم للناشرين عام ١٩٥٢

يختلف هذا الكتاب عن سائر كتب الأستاذ مارون عبود التي مرت بك ، فهو كتاب نقد « موضوعي » ، مدرسي ، يصف لنا حياة كل واحد من رواد النهضة الحديثة وآثاره الأدبية ، ومن حق هذا الكتاب أن يقرأه كل مثقف ، وكل طالب ، حتى يعرف تاريخنا القريب وبكرم أعلامه ، الذين عبدوا لنا الطريق إلى المعرفة والنور والحرية و ... الحياة !

ذكر لنا الأستاذ عبود في كتابه أسماء أعترف - وأنا مطرق رأسي خجلاً - أنني كنت أجهلها تماماً ، وذكر لنا أسماء أخرى أعرفها معرفة يسيرة ، ولكنه أجاد كثيراً في تصوير نواحي العظمة فيها ، وحبها إليّ وشوقني إلى قراءة آثارها .

قد يقال إن الأستاذ عبود نظر الى الرواد من أفق لبنان ، أكثر مما نظر اليهم من أفق العروبة ، فأهمّل مثلاً أسماء مصرية أو شامية كان يجب أن تذكر ، وذكر أسماء لبنانية كان يجب أن تهمل ، ولكن هذه « الملاحظة » لا تنقص من قيمة كتابه ، لأنه يؤدي لكثير من أعلام لبنان شهادة من لون خاص ، شهادة « شخصية » ، لاتصاله بهم وأخذهم عنهم ؛ هذا الى أن لبنان كان رائد البلاد العربية في النهضة الأدبية ، فغير غريب أن يكون أوائل رجاله أوائل العرب ، وقد وعدنا المؤلف ، على كل حال ، أن يقدم إلينا ، في كتاب جديد ، أسماء جديدة ، فلعله يضيف الى « جريدة » الرواد أسماء من أهمهم .

أول رائد يحدثنا عنه كتاب الأستاذ عبود هو المطران جرمانوس فرحات ، الذي ولد في القرن السابع عشر ، وكان أول نصراني ألف في النحو و (قال الشعر عربياً ، بعدما كان زجلاً سرياني الوزن) و (صحح الترجمة العربية للمزامير والأناجيل وصائر كتب الموازنة الكنائسية ، فعرفت الكنيسة فصاحة العرب) ثم يحدثنا عن الصائغ ، والتابلسي ، والحر ، والنحلاوي ، والبربر ، وابن افرنجية ، والتبرك ، وكرامة ، وناصيف اليازجي ، والأحذب والأسير والأنسي والكسني ، و خليل الخوري ، وفرنسيس مراث ، والبارودي ، وأرسلان ، وشاكر الخوري ، ومحيي الدين الخياط ، وتامر البلاط ، والبستاني ، ونجيب الحداد ، والشدياق ، وأديب اسحق ، وشميل ، ومحمد عبده ، والكواكبي ، ومصطفى كامل وغيرهم ، ولولا خوف الاطالة ، لنقلت من هذا الكتاب جملاً بل صفحات ٠٠ ولكن القارئ مطالب بأن يقرأ الكتاب ، فالأستاذ مارون عبود ، الذي يعرف الأدب العربي ، قديمه وحديثه ، معرفة جيدة ، يظهر لنا في هذا الكتاب كأنه الأب لويس شيخو ، منقوصاً منه تعصبه ، ومزبداً فيه هذا الأسلوب القصصي الخلو ، الذي يهدد ولا ينم ، ويعطيك درساً بليغاً في الأدب ، وأنت تظن أنه يروي لك حديثاً أو « حكاية » : إنه العلم باللذة ٠٠ ، لا بالسيف !

لمن ؟

للأستاذ ألبير أدب

مجموعة من الشعر الرمزي ، طبع دار المعارف بمصر

(لمن ؟) ، مجموعة من الشعر المنشور ، وأكاد أقول ٠٠٠ من اللؤلؤ المنشور ،

ألفها ألبير أدب ، صاحب مجلة « الأدب » اللبنانية .

كان الأستاذ أدب معروفاً عندنا بثقافته الفرنسية الواسعة ، وبأنه من أنصار المدرسة الرمزية في الشعر ، ولكنه يترك الآن كرامي (النظارة) وبأخذ طريقه الى (المسرح) ، لينشد مع المنشدين ، ويدع مع المبدعين ، فهل كان مقامه يتنا ، كل ذلك الزمن الطويل ، نعمة (كاموفلاج) أم تقية ، أم تواضعاً ؟ .

(لمن ؟) ، كتيب صغير في مئة صفحة ، ولو « ضفط » كلماته وصفت صفوفاً متتابعة بأحرف دقيقة ، كما يصف النثر في الكتب القديمة ، لما تجاوزت أوراق الكتاب عشرين صفحة ٠٠٠ ولكن المؤلف عرض علينا كلماته كما ينبغي لها فنياً أو (مسرحياً) أن تعرض : لوحة بعد لوحة ، ومشهداً بعد مشهد ، ولذلك لا نجد في الصفحة « ٥٩ » مثلاً ، سوى هذه الكلمات :

(حقيرة أنت

خلعت عليك المجد

فكنت) .

ولا نجد في الصفحة (٧٧) سوى هذه الكلمات :

(الى التي

كانت لي واحدة)

فاذا حذفنا حرفي الجر والضمائر والفعل الناقص ، بقيت كلمة واحدة !

لفيري أن تضيق نفسه (وأنقاسه) بهذا الاصراف ، وأما انا فقد أكون آخر من يشكو أو يتألم ، لأنني أعرف البير اديب ، وذوقه ، وأناقته ، وأعرف أنه « جواهري » لا يضع الجوهرة إلا في حرز مثلها ! إن في الغرب من يرى أن تكتب الأشعار كتابة مخصوصة ، بحروف مختلفة الألوان والأحجام ، حتى تؤدي للعين رسالة الموسيقى للأذن ، فلماذا نستكثر على الأستاذ اديب ان يعرض علينا شعره كما خرج من نفسه : دفقة بعد دفقة ، ووقفه بعد وقفه .

كتاب الأستاذ اديب صغير الحجم ، بل هو صغير جداً ، ولكنه يذكرني بكلمة « ده موسيه » التي قالها في وصف جسم حسن : (خلقه الله صغيراً ، يجعله جميلاً . .) فهو صغير ، كالللمسة ، واللؤلؤة ، وقطرة الندى ، ولكنه ككل أولئك فيه كل معاني النور ، والبحر ، والفجر !

تميت على الله أن يمد الأستاذ (اديب) بالقدره على النظم ، حتى تكتب كلماته في قوالب النظم جمالاً فوق جمالها ، ولكنني أشهد أن بعض ثره ، أشعر من الشعر .

ان هذا اللون من الأدب معروف في الغرب ، ولكنه في بلادنا لون جديد ، ويجب على أدبائنا الذين يجهلون لغات الغرب أن يقبلوا على قراءته ، ليلتحوا به — كما يقول الأستاذ عبود — بآتينهم البرية !

في الغرب شعر رمزي غامض ، وأما شعر الأستاذ اديب فأكثره مشرق ، واضح ، سهل ، ولا يصح أن يسمى رمزياً إلا تجوزاً . . . إنه يشبه بعض أغاني أوسكار ويلد ، ولكنه لا يشبه شعر مالارمه أو قاليري ، فان عد شعراً رمزياً ، فصاحبه في اول درجات الصوفية الرمزية ، القرية من أفق البشرية ؛ لم يذهب وراء الفيوم !

واليك الآن قطعة من هذه المجموعة ، عنوانها « شاعرة » :

(كانت جميلةً كشهر نوار
 وكان يبق منها العطر كورده
 واسمها كان مباركا كهذا الشهر الجميل
 جاءها يوماً شاب خبيث
 ضحك من زهوها
 فزادها غروراً
 قال لها :
 أنت أجمل من نوار
 وعطرك أعبق من ورده
 واسمك شيء من السماء .
 فأمنت بما قاله الشاب الخبيث
 وركنت إليه

* * *

وأخلص لها الشاب شهراً كاملاً كنوار
 وفي أول حزيران تركها
 أما هي فما زالت ترى أشهر السنة
 كلها شهر نوار
 وما زال أنفها يبق برائحة العطر
 وقد شمع هذا الأنف الدقيق
 فشوه على دفته الوجه الناصع المستدير

* * *

وتعفي الأيام
 وشهر نوار لا تفارقها أيامه
 الى أن جاءها يوماً شاب بجيا وورد نوار
 فقال لها أحبك
 فضحكت من براءة الطفولة الساذجة
 ولم تميز المنفوان في خشوع الشاب
 ولم تفهم إخلاصه
 فقال لها : أنا البنفسج بين أفاملك
 لي الممس الناعم ، وليس لي الشوك
 قالت له : أنا لا أحب البنفسج
 أنا وردة ، ومنى عبق الورد ، وشوك الورد
 وضحكت من الطفل الشاب .

* * *

ذهب الطفل كسير القلب
 وأقسم أن لا يراها
 ولكنه أقسم أيضاً ان لا ينساها !
 وكان الطفل شاعراً مجهولاً
 فأخذ ينشد في الناس مآماته
 فاستعذب شعره كل الذين سمعوه
 ولقيت به العذارى أميرها الصغير
 فأحاطه العذارى ، وكان بينهما
 ينشد فيحققن له

ولكن قلبه كان مع تلك السيدة ذات الأنف الدقيق
وبكى الكثيرون لقصته
وتناقلتها المذارى همساً
وكن يشرن اليه كلما مرّ ، أو تراهي لمن
أما هو فلم يحفل بأحد
وظل مسترسلاً في نشيد ذلك الحب الطفل
أما هي فما زالت تؤمن بنوار

* * *

ومس ورد نوار ، في أذنها حفيفاً
لم يستشر به احد من الناس
حتى ولا الشاب الخبيث
ولكن المذارى رأين الشاب الطفل
يجمع ورقات ورد ، تحفها الخريف
وكان الطفل الشاب يبكي بخشوع وسكون
وهو يجمع تلك الوريقات ويرفعها الى فمه
وبقبلها بشيء من التقديس
فبكت المذارى لبكاء الطفل
الذي نسي الثمر
لأنه أصبح شاعراً كبيراً

الدكتور منبر العجلائي

www.alukah.net

بصائر جغرافية

تأليف الأستاذ رشيد رشدي المايري

ان الذي دعا المؤلف إلى اصدار هذا الكتاب هو ما رآه من انتشار الإلحاد والفساد في طبقات المثقفين والمثقفات . وقد كان نشر مقالات في بعض الصحف والمجلات ، ثم جرّدها ، وأعاد النظر عليها ، وأضاف إليها الكثير الطيب ، فجاء كتاباً مؤلفاً من أكثر من (٣٥٠) صفحة بالقطع المتوسط ، ونشرته مطبعة التفتّيز في بغداد .

اشتمل الكتاب على مقدمة تمهيدية ومطلبين اثنين ، (أو قسمين بتقسيم المؤلف) .
القسم الأول : بصائر (جغرافية) في الإيمان بالله تعالى .
والقسم الثاني : بصائر جغرافية في أن القرآن وحي من الله وفيه « معجزات القرآن العلمية الخالدة » .

أما المقدمة فقد استغرقت (٨٤) صفحة . استهلها المؤلف بنداء إلى الشباب المسلم المتعلم ، يوجه أنظارهم إلى ما يرمي إليه الاستعمار من سياسة الإفقار والذلة والصفار ، وفيها نصائح ثينة وتوجيهات صديدة ، للشباب الواعي بنوعيه : الذكور والاناث — وهم عماد الأمة وعنادها — يدعوم فيها إلى التماس أفضل الوسائل واقواها لاقتاد المعذبين في الأرض — من بني قومتنا وملتنا — من يران الاستعمار الظالم الآثم . (وفي المقدمة) أيضاً مسائل مهمة جدية بالتفكير والتدبر (منها) أن الاسلام والاستعداد لا يجتمعان ، (ومنها) أن ما جاء في القرآن الكريم من آيات العلم الكوني والطبيعي لم يكن لتأصيل قواعد الكيمياء والطب والرياضيات ، والعلوم الأخرى ، ولكنه ورد في سياق الاعتبار ، وفي موارد الارشاد والاستبصار ، وليس في الوحي المنزل ما يتعارض مع قطعات العلم . وان دراسة العلم الطبيعي عبادة صامتة وتسبيح عملي .

(ومنها) بحث المحکمات والمتشابهات فی الآیات القرآنیة ، وإعجاز الآخيرة خاصة منها (قال) وکم حکمة فی القرآن اذا ما مستها بد العلم ، أسفرت اسرارها ، وظهرت أنوارها .

ثم عقد المؤلف فی القسم الأول - وهو الايمان بالله تعالى - أحد عشر فصلاً ، وعدّها بالأرقام ، واستنبط من کل منها دليلاً واضحاً علی وجود الله ، وعلی بالغ حکمته ، وصانع نعمته ، وعجيب صنعته وتقديره ، وقد وضعنا لها عناوين مأخوذة من مباحثها لتدل علیها فی الجملة وهذه هي :

- (١) كيفية توزيع اليابس والماء علی سطح الأرض . (٢) حکمة زیادة الماء علی اليابس بثلاثة أمثال . (٣) التيارات المائية فی المحيطات والأبحر ، والعوامل فی تكوينها . (٤) دنيا المحيطات والأبحر ، وفيها ألوف الأنواع والأشكال من الحيوانات البحرية . (٥) الحکمة فی وجود التضاريس واختلافها فی اليابس . (٦) دقة نظام التوزيع للتضاريس . (٧) قوة الجاذبية التي أدت الى تماسك أجزاء الأرض فی دورانها . (٨) مآلظاهر المدّ والجزر من فوائد صحية وزراعية وتجارية وصناعية . (٩) الهواء المحيط بالكرة الأرضية واتصاله بصميم حياة المواليد الثلاثة . (١٠) الكسوف والخسوف وأسباب حدوثها « الشمس والقمر بحسبان » . (١١) ما فی اختلاف الليل والنهار واختلاف المواسم من أثر عظیم . وأما القسم الثاني ففيه المباحث العلمية الفلكية ، وهي مجملة فی ما يلي ، والعناوين للمؤلف :

- (١) رأي الإسلام وعلمائه فی العالم الشمسي . (٢) شكل الأرض . (٣) أثر الجبال فی الحياة . (٤) البرازخ المائية . (٥) الاختلاف فی الشروق والغروب . (٦) المناخ فی الأرض وخاصة فی القمر . (٧) الهواء وضغطه . (٨) المطر فی نظر القرآن والعلم . (٩) ظل الأجسام وظل الأرض وظل القمر ، وعنوانه : (ظلال الله) . (١٠) أيام السيارات ، وأيام الأقمار ، وأيام الشمس ،

وعنوانها : (أيام الله) . (١١) ليل ونهار سرمدان . (١٢) حركة الأرض
الانقلابية ورجمة الاعتدالين . . في بحث (الرجع والصدع) . (١٣) قانون الجذب
العام . (١٤) الحركة في الكون . (١٥) الكواكب المذنبة ، والشهب والنيازك .
(١٦) عظمة الكون . (١٧) مواقع النجوم . (١٨) مصير الجبال يوم القيامة .
هذه المباحث الثمانية عشر ، قد فصلت فيها هذه الحقائق الكونية ، وفسرت
آياتها تفسيراً ظاهراً ليس فيه اعتساف ولا انحراف ، بل أخذ المؤلف من
أبحاث كتب التفسير ، كالطبري والقرطبي والكشاف والرازي والبيضاوي ،
وأضاف إليه ما استمده من قوى هذا العصر وحقائقه ، وعلومه ومعارفه ، متمشياً
مع أساليب اللغة ومعانيها ، وقد ذكر في خاتمة كتابه أن ما جاء به من العلم
الكونية والطبيعية هو من القطعيات التي لا تقبل المراء والجدل ، لا من النظريات
التي تكون عرضة للتبدل والتغير مما لا يجوز تطبيقه على الآيات القرآنية .
ومن أمتع ما قرأناه في هذا الكتاب : (ص ٩٠ رقم ٤) : صفة تعالى في
تمدد الماء وتجمده . (١٩٢ - ٢٠٣) تفسير الآية الكريمة : « لا يرون فيها شمساً
ولا زمهريراً » وقد ذكر فيها خمسة وجوه من أبدع الوجوه . (٢١٨ و ٢١٩)
وجه دلالة ماء المطر وماء الشرب على إعجاز القرآن ، وتفسير آيتي إزجاء السحاب
وانزال الماء من المزن . (الآية ٤٣ من سورة النور و ٦٩ من سورة الواقعة)
وانظر ص ٢٢٤ أيضاً . (ص ٢٥٢ - ٢٥٦) تفسير : « وإن يوماً عند ربك
كألف سنة مما تعدون » . (ص ٢٦٢ - ٢٧٠) راجع في هذا الفصل الممتع
الاتساق المعجز في معناه بين (الرجع والصدع) . (٢٨٥) الحركة المهدبة
وسر التسمية . (٢٩٢) وجه المناسبة بين قوله تعالى : « النجم الثاقب » ، إن كل
نفس لما عليها حافظ » . (٢٤٩) ختام التفسير ، وليراجع في تمام تفسير كل
آية وجه كونها معجزة إلهية . (٢٩٦) مقدار سرعة الضوء وما يتناوب بين أداني
الكواكب وأعاليتها من المسافات والأبعاد .

والمؤلف الكريم من شيوخ السن والعلم ، ومن دعاة النهضة والتجديد ، على أساس ديني خال من الشوائب ، وتراه يحرص كل الحرص على رد المتعلمين الى حظيرة الدين ، ويدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة .
أما دعاة الإلحاد والفساد ، فهم :

عمي القلوب عموا عن كل فائدة لأنهم كفروا بالله تقليدا
قلو أنهم درسوا مثل هذه « البصائر » لعاد المتعدون منهم الى رشدهم ،
وأما من لم يرفعوا بالحق رأسا ، ولم يقيموا له وزنا ، فترجو منهم - إن كانوا
على شيء من العقل والفضيلة - أن ينشروا رأيهم بصراحة مبينين فيه ذرائع النهوض
بهذه الأمة العانية ، لتعود أمة ثروة وقوة ، وسيادة وسعادة .
هذا وفي الطبع أغلاط كثيرة اعتذر المؤلف عنها ، وألحقها بجدول بين فيه
الخطأ والصواب ، ثم أتبعه بجدول آخر باذلاً الجهد والعناية في التصحيح ،
ولكنه على ذلك كله لم يستقص ، واليك مما لم نره في الجدولين :

ص	ص	خطأ	صواب
١٢٢	٦	ما ينفع	« بما ينفع »
٢٥٧	٩	الليل	« النهار »
٢٥٧	١١	لعلكم	« ولعلكم »
٢٧٧	٩	بنا كبا	« في منا كبا »
٢٨٧	٢	الطارق	« والطارق »
٣٢٣	١٠	إذا الجبال	« وإذا الجبال »

هذه الآيات الكريمة وأما الحديث الشريف فتمه ما جاء (في ص ٤ ص ١٠)
« كاد الفقر أن يكون كفرا » .

قلت : أوردته في « كشف الخفاء » للعجلوني بعدة الفاظ ، ثم قال : ولئن أني
وصححه ابن حبان عن أبي سعيد مرفوعاً أنه كان يقول : اللهم اني أهوذ بك
م (٩)

من الكفر والفقر ، فقال رجل : وبمتدلان ؟ قال : نعم » ثم قال في الكشف :
وهذا أصحها ، وما قبله من المرفوع ضعيف الإسناد .
ونحن نرجو من وزارة المعارف العراقية التي قررت تدريسه في دور المعلمين
والمعلمات ، أن تزيد في احسانها فتحقق رجاء المؤلف ورجاءنا معه ، في اعادة طبع
« البصائر » بالاتقان المأمود ، وأن تحذو وزارات المعارف في البلدان العربية
حذو معارف العراق ، فتدرسه في مدارس التجهيز وفي دور المعلمين والمعلمات ،
ليسير رجال المستقبل على هدى الرحمن ، ونور القرآن .



« من هدي القرآن »

تأليف محمد نمر الخطيب

مطبعة اليقظة بدمشق (ص ٢٤٠)

هذا كتاب يدل اسمه على مسماه ، بل يدل عنوان كل فصل منه على مضاه ،
فباحثه متوجة بالآيات الكريمة ، ومفسرة تفسيراً عصرياً تنذوقه العقول ،
وتألفه النفوس ، لا لبس فيه ولا تعقيد ، ولا جدال في مصطلحات لفظية
ولا مرأه ، وقد أضاف المؤلف الى الآيات القرآنية ما يناسبها من الأحاديث
التبوية ، وبينها بيانا واضحاً ، فجاء مؤلفاً وافياً ، ومن فصوله التي جمعت بين التليد
والطريف : « فلسفة الأمراء والمعراج ، محمد رسول العالم ، حقيقة الإيمان بالله
ورسوله ، الجهاد بالمال والنفس ، رحمة المؤمنين وشدتهم ، وراثة الأرض ،
اقامة العدل ، وجوب الإصلاح ، القرآن بيني المدينة الفاضلة ، المساواة في
نظر المسلمين ، مقارنة بيتنا وبين الغرب ، تمكين الله للمسلمين في الأرض ،
المسؤولية في الإسلام ، الإخلاص روح كل شيء » .

وقد شرح الأستاذ هذه الفصول شرحاً يثف عن سلامة ذوق ، وبمن عن فضل أدب .
ومنها تحت عنوان بقاء الصالح مانصه : لقد علم الشارع الحكيم أن الأرض
يرثها عباد الله الصالحون من أي جنس كانوا ، ومن أي لون كانوا ، فماداموا

صالحين لها ، فهي صالحة لهم ، وإن الإيمان وحده ، أو دعوى الإسلام وحدها ،
والصلاة وحدها ، ليست مبيلاً صحيحاً للبقاء في الأرض أو استملاكها ، أو استخراج
كنوزها ، ثم قال : لقد علم الشارع ذلك فأرشد المسلمين إلى الأخذ بالأصواب
واستكمال شروط القوة الخ . وقال : لقد وضع الحكيم العليم لهذا الكون صنفاً
وقوانين من سلكتها وصل إلى مراده منها ، ومن انخرق عنها انخرقت عنه غايته «
فالمؤلف يستمد كل بحث من حقائق الزمن ، ومنع الله تعالى في الوجود ،
فهو كتاب إرشاد وتعليم يوجه المسلمين وجهة صالحة تسددهم في الدنيا ،
وترشدتهم إلى مآلي الأمور ، وتبعدهم عن مفسائنها ، وقد أشار المؤلف إلى
مواضع الآيات من السور والأجزاء ، وخرج أكثر الأحاديث ، ولم ينسح
وقته لتخرج الباقي ، ولله بتم تخرجه في طبعة ثانية ويصحح بقية الأغلاط
المطبعة وهي لا تحصى .

محمد بهجة البيطار

مطبعة

Corpus inscriptionum semiticarum. pars quinta
T. I. fasc. primus.

مجموعة الكتابات السامية

(الكراس الأول من الجزء الأول من القسم الخامس)

تبلغ عدد صفحات هذا الكتاب نحو (٦٥٦) صفحة من القطع الكبير
وهو من مطبوعات المجمع العلمي الفرنسي . طبع في باريس سنة ١٩٥٠ .
جمع في هذا الكراس الأستاذ ج . ربكنس (G. Ryckmans) الكتابات
الصفوية التي استنسخها الأساتذة : دوسو (Dussaud) ودوتان (Dunand)
ودي فوجيه (de Vougüé) وودانغتون (Waddington) وغراهام (Graham)
ويتزستين (Wetzstein) وماسكل وموتيرد (Mascle - Mousterde) ورينس
(Rees) في رحلاتهم إلى حرة الصفا الواقعة في الجنوب الشرقي من دمشق
وقد عثر على أكثر هذه الكتابات منبورة على صخورها البركانية بأحرف أبجدية

خاصة بهذه المنطقة وقد حلت رموزها في عام ١٩٠١، ويرجع تاريخ هذه الكتابات إلى العهد الروماني وتشير أكثرها إلى ذكرى وفاة أو ضيافة مسافر أو شفاء مريض أو تقديم قربان أو اغاثة ملهوف أو لمن عده .

وأهم ما في هذه النصوص وفرة أسماء الأعلام والقبائل والأرباب والألفاظ العربية التي تدعونا إلى أن نجزم بعربية كاتبها وتشهد بأن اللغة الصفوية أقرب اللهجات السامية إلى العربية .

كنا ننتنى كما يتنى كثيرون لو بقلع المجمع العلمي الافرنسي عن تقاليده باستعمال اللغة اللاتينية في نشر أمثال هذه الأبحاث العالمية لنتم فائدتها لاسيما بعد أن زهد بها أكثر أبنائها وقل في العالم عارفوها . ونرحب بهذا السفر الجليل الذي يفيد العرب أكثر من غيرهم ويساعدهم في دراسة تاريخهم وتنبع تطور لغتهم .

G. Ryckmans - Inscriptions Saffaitiques au British Museum et au Musée de Damas. Extrait du Muséon. T. L XIV, 1-2 Louvain 1951.

الكتابات الصفوية في المتحف البريطاني ومتحف دمشق

وهو مقال نشره الأستاذ ريكمنس في المجلد (٦٤) من مجلة موزيون (Muséon) الصادر عام ١٩٥١ وأفرد منه هذه الرسالة التي درس فيها بعض الكتابات الصفوية المحفوظة في المتحفين المذكورين ولم تنشر بعد ولا يوجد في هذه الكتابات من جديد يخرج عن المألوف في مثيلاتها المعروفة وهي تقتصر على تمنيات طيبة لمسافر أو مريض أو محارب أو ميت .

وألفت نظر الأستاذ صاحب المقال إلى سقوط العبارة الصفوية (W'1 Snm) من الترجمة الافرنسية في الكتابة الواردة في ص : ٩٠ دمشق ١٣٠٩٤ .
نشكر للأستاذ اهتمامه بجمع هذه الكتابات المشتتة لتضم إلى ماصبق له جمعه منها .

تاريخ الحرم المقدسي

المؤلفه عارف العارف

طبع في القدس سنة ١٩٤٧ في نحو ١٢١ صفحة من قطع الوسط وزين بصورة كثيرة ترك لنا السلف كتباً كثيرة عن المسجد الأقصى ، فمنهم من تناول الناحية الدينية وعدد فضائل هذا المكان الشريف ، ومنهم من تناول وصف بنائه وذكر محاسنه ، ومنهم من تناول الناحيتين الدينية والمعمارية معاً . ورغبت المؤلف ان يلحق بهذه المجموعة هذا الكتاب الذي دون فيه طواري' الحداث التي ألمت بهذا المكان وتطور بنائه تدويناً متسلسلاً وجمع فيه تاريخ الصخرة للمشرفة والمسجد الأقصى المبارك وما بينها وحولها من مبان وآثار معتمداً على أصدق الأخبار وأوثق المصادر وما تبقى من الكتابات المحفوظة على الجدران والأبواب والقباب والمنابر والسبلان بعد أن حققها بنفسه وأوضح ما غمض من قضاها .

وقد جاء في الحاشية (٨) من الصفحة (١٠) (الادم : جمع ادام وهو الشيء الذي يؤكل مع الخبز معها كان) مع ان' الصواب هنا : ادم جمع الادم وهو الجلد المدبوغ .

ونقل في ص (١٨) : وصف المقدسي للمسجد الأقصى منصرفاً بعبارته دون ان يشير لذلك واستبدل فيها المقاييس الاسلامية بالمتر والسنتيمتر .

وقد عرّب في ص : (١٩) ما نقله بالانكليزية الكتبتين كرزوبل عن ابن الأثير وكان يستحسن أن ينقل عبارة ابن الأثير لا تعريبها عن لغة أجنبية .

وهذا الكتاب هو من خير ما وضع بالعربية في هذا الموضوع فقد جمع فيه الأستاذ المؤلف زبدة ما كتبه المسلمون والمفيد مما كتبه الفرييون ، فجاء بوفرة مادته مرجعاً تنتفع به العامة ولا غنى عنه للخاصة .

جعفر الحسني



مجموعة مؤلفات

للسيد عبد الحميد الخطيب (الحجازي)

- (١) تفسير القرآن صدر منه الى اليوم ثلاثة أجزاء خص كل جزء من القرآن بجزء من التفسير وعلى هذا فيكون تفسيره في ثلاثين جزءاً وكل جزء في أكثر من مائتي صفحة .
- (٢) جزء صغير في ٣٢ صفحة سماه (تجية الحبيب) وهو يتضمن ثلاث تحايا أو قصائد في مدحه ﷺ وقد تخللها قصيدة ثالثة ضمنها (التوصل بأسماء الله الحسنى) افتتاحها بمقدمة ذكر فيها السبب الذي حمله على نظم هذه القصائد وخلاصته ان سورباً أخبره بأن وهابياً سمعه يقول في مسجد مكة (الصلاة والسلام عليك يا رسول الله) فلم يرض الوهابي ذلك منه : فال مؤلف أوضح في مقدمته هذه استنكار ما أخبره به السوري وأثبت أن الأمر بخلاف ما قال ، ونظم القصائد المذكورة مدحاً له ﷺ ونشرها على مرأى ومسمع من بعض السعوديين الذين رضوها واستحسنوها .
- (٣) جزء صغير كالذي قبله أودعه ثلاث قصائد اثنتين منها عارض بها همزية الأبو صيري وبردته باسم (نهج البردة) و (همزية الخطيب) وقصيدة ثالثة بعنوان (أحبك يا ربّي) ومطلعها :

(أحبك يا ربّي وأشعر أنني بعينيك ملحوظ فأفرح في سري)

- (٤) جزء بعنوان (المهد الذهبي لحكم صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود) افتتحه بمقدمة اهداء الى جلالته الملك ثم يرسم جلالته ثم أفاض بسيرة حياته المفعمة بالبطولة والاهتمام بإسعاد شعبه ثم بخلاصات في ترجمة اخوته وأنجاله : الأمير سعود وصورته ، والأمير فيصل وصورته ، والأمير منصور وصورته ، والأمير عبد الله الفيصل وصورته . وختم الجزء بصورة وزير المالية (عبد الله بن سليمان) .
- وهكذا انتهى الكتاب من دون أن ينسى المؤلف وصف تقوى الملك وديمقراطيته وشرحه للمدنية الصحيحة ولأسباب تأخر المسلمين . والمجمع يشكر للمؤلف

—•••—

صنعه وهديته .

من صميم الحياة

اسم لكتيب جميل الطبع حسن التوبيع جمع فيه مؤلفه السيد حمدي عبيد كلمات له في الأخلاق والمواظب من مثل : « الحظ على الصدق » وتجنب الخمرة ، واختلاط الجنسين ، والمرأة والتقليد ، وتربية الأولاد ، والرحمة والتقوى ، ومن هو أصدق الناس ؟ والعلم والعمل الخ » . ثم عقب هذه الكلمات النافعة بخطب وأحاديث للمؤلف كان أذاع بعضها في اذاعة دمشق . وموضوعاتها من جنس موضوعات كلماته المذكورة ومنها : « المرأة بين القديم والحديث » وذكرى المولد النبوي « وغير ذلك مما ينبغي اطلاع الجمهور عليه فيستفيد منه المطالع ، ويتقوّم على ثقافته الناشئ . ومن حسن الكتاب لطف جمعه بحيث يصحبه القارئ في جميع حالاته .

المطعري

~~~~~

## وضع الاقتصاد العربي

لمحمد سعيد الزعيم

الأستاذ الزعيم لولب الحركة الاقتصادية في حلب لذلك تتوالى مقالاته ومحاضراته ، وآخر ما ظهر من منشورات الفرقة التجارية ( سنة ١٩٥٢ ) كتاب : ( وضع الاقتصاد العربي ، ونمو الاقتصاد العربي ) وفيه محاضرات للأستاذ الزعيم .

لخص الأستاذ في المحاضرة الأولى : الاتفاقات التجارية التي جرت بين البلاد العربية ، بعد الحرب العالمية الأولى ، بالتاريخ والأرقام ، وعرض لمعرفة تأثير الأجنبي في الدمار العربية .

ثم بحث عن التبادل التجاري بين الأقطار العربية بالأرقام والسنين ، وبين ضعف ذلك التبادل ونصح بضرورة توثيق عرى المروبة اقتصادياً .

ثم تناول التوجيه الاقتصادي في بلاد العرب : في الانتاج الزراعي والصناعي ، ودرجة نموه فيها ، وبين قوة ارادة العرب ونضالهم في الحياة وذكاءهم واجسارهم ، ونصح بضرورة الوحدة الاقتصادية ، لقوة العرب سياسياً واقتصادياً ، وقال :

« وان بلاداً كانت موحدة اقتصادياتها في زمن المالك لحري بها أن تتحد اقتصادياً في زمن الرؤساء الميامين الذين حرروا الوطن العربي » .

والمخاضرة الثانية : تتضمن نمو الاقتصاد العربي ، وقد بين كيفية نموه ، والروح السياسية التي سيطرت عليه ، وضرر الانتداب فيه ، والحرب العامة الثانية وأموالها ، والصناعات الحديثة في الأقطار العربية ، وحالة التجارة الخارجية من سنة ١٩٢٥ حتى ١٩٥١ وكيف نمت وترعرعت ، وأشار الى مقادير النقد المتداول فيها .

وبحث عن الأراضي الزراعية العربية والمشاريع الجديدة المنتجة فيها ، ومساحاتها ومحاصيلها ، وأهم أنواعها ، وموازنة الديار العربية ، وما ينفق منها على التعليم والزراعة والكهرباء الخ ٠٠٠٠ والمصانع وأنواعها وإنتاجها وتكاثرها ، والتعامل التجاري بين ديار العرب والديار الأجنبية ، وسكان الأقطار العربية قديماً وحديثاً ، ودخلها السنوي ، وما شئت ، وحالة العمران في الجزيرة العربية .

ثم تعرض لبحث موقف العرب اقتصادياً من إسرائيل ، والتقدم الصناعي في إسرائيل ، ودسائس اليهود في الديار العربية ومنافستهم الصناعية لها ، وما قاله : « فليحذر العرب إذا المستقبل ولا تفشهم اذاعات السوء عن مستقبل إسرائيل وعليهم ألا يفترؤا وألا يطعنوا ، فالخديد لا يفله إلا الحديد ، والعلم لا يحارب بالجهل .

وهنا بحث عن الدخل الوطني وزيادته وذلك : « لرفع مستوى أفراد الشعب في زيادة معدل الدخل الوطني للفرد وعدالة التوزيع بين أبناء الشعب الواحد » .

ثم حض العرب على الأعمال الاقتصادية ونصحهم : « بالتمسك بأهداب الوعي القومي وسلطان القانون وتوطيد العدل وتشجيع الأعمال الحرة والعمل الاقتصادي الجماعي وتنمية الثروات عن طريق زيادة الانتاج ورفع مستوى العمل » .

وفي الحق ان الأستاذ الزعيم قد وفق في تلك المحاضرتين اللتين تغنيان عن مجلد كبير ، لما فيها من المادة الغزيرة والتوجيه الاقتصادي الواقعي ، وانا لشكره عليها .

منير السرييف



## كتاب الموفي في النحو الكوفي

بقلم الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة

عصفت حوادث الأيام بآثار نخاة الكوفة فخرنا متعة الاستماع الى حديثهم في كتبهم ومعرفة كيف يصورون آراءهم بأقلامهم ويفصحون عنها بأسلوبهم ويحججون لها ويدافعون عنها .

وليس فيما وصلنا من كتب المتقدمين من نخاة البصرة استعراض الا للقليل من آراء أهل الكوفة فشيخ الصناعة سيبويه لم يعرض إلا للقليل منها وكذلك صنع ابو العباس المبرد في كتابه المقتضب و كان يتعاشى في الغالب التصريح باسمهم فيعبر عنهم بقوله ذهب جماعة من النحويين أو قوم من النحويين أو بعض من النحويين . . . وهكذا قدر للنحو الكوفي أن يظل مبعثراً في بطون كتب نخاة البصرة يذكر فيها لفرض تضعيفه وتوهمه غالباً حتى جاء كمال الدين ابو البركات الأنباري وألف كتابه « الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين » .

وهو خير ما وصلنا من الكتب التي عرضت لهذا الموضوع ، لم يأل جهداً ولم يدخر وسعاً في سبيل الاستدلال والاحتجاج لمسائل كل من المذهبين ، على أنه شابع البصريين في كثير من مسائل كتابه الذي حوى ١٢١ مسألة ، لم ينتصر فيها للكوفيين الا فيما يقرب من عشر مسائل .

وهل في شرعة الانصاف أن يمتسف فتضعف قراءة سبعية متواترة ويحتج بأحاديث موضوعة ، وكل ذلك في سبيل ترجيح مذهب البصريين على الكوفيين ؟ وقد عرض السيوطي بإيجاز في كتابه الأشباه والنظائر لطرف من مسائل الخلاف بين المذهبين . وإذا أردنا أن نرمم صورة واضحة للمذهب الكوفي فليس أمامنا من سبيل إلا جمع أقوالهم المشوثة المشورة في أضاف كتب النحو . وكذلك فعل مصنف « الموفي » فحشد في كتابه قدراً وافراً من مسائل النحو الكوفي وحاول تصويره جهد طاقته وان كان لم يحاول الاستيعاب والاستقصاء .

وما من شك في أن عشاق الدراسات النحوية صيرحيون أجمل ترحيب بطبع هذا الكتاب وسيمجدون للمجمع العلمي العربي جهده في إخراجه ، والكتاب يعتبر دعامة قوية في بناء النحو الكوفي .

وقد تكلف المصنف الإيجاز في أسلوبه فجاء كتابه بمثابة رموز وإشارات ، وما أشبه أسلوبه بأسلوب المتون المعقدة . على أنه قد ذكر مسائل كثيرة هي محل اتفاق من جميع النحويين .

أما جهد الأستاذ البيطار فهو جهد مشكور ، لم يدخر وسعاً في صيقل تجلية رموز الكتاب والإبانة عن مقاصده ، حتى زاد الوافي بهذه الشروح أضعافاً ، وعرض لنا نصوصاً نحوية من كتب مختلفة شرحت غوامضه ، وأغنت قارئ الكتاب عن أن يتطلبها في مظانها . كما ترجم لكثير من أعلام النحويين وغيرهم ، وشرح كثيراً من الشواهد شرحاً مجزئاً ، وأتى بزيادات أصنافاً للفائدة ، فلذلك في حروف المطف ص ٦٢ وحروف النداء ص ٦٦ والترقيم ص ٦٩ وما يتعلق بفعل الشرط وجوابه ص ١١١ .

وقد حقق الأستاذ بعض الأقوال بما يشيد له بسمة الاطلاع ، تراجع هذه الصفحات ٢٩ - ١٠٠ و ١٣٧ - ١٣٨ .

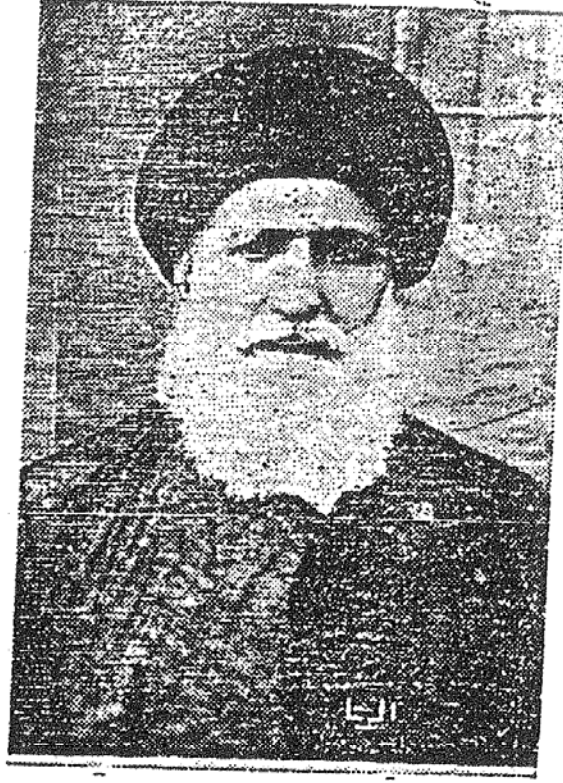
وكم وددت أن يشير الأستاذ البيطار الى المسائل الكثيرة التي اشتمل عليها الموقى وليست من اجتهاد الكوفيين وحدهم بل هي مسائل اتفق عليها جميع النحويين وهي إلى أن تضاف الى نخبة البصرة أقرب من إضافتها الى نخبة الكوفة لسبق البصريين وتقدمهم في وضع النحو وتقنين مسائله<sup>(١)</sup> .

محمد عبد الحالم عصفية

\*\*\*\*\*

(١) يرى القاري الجواب على ملاحظات الأستاذ في باب الآراء والآباء من هذا الجزء .  
(المجمع)

## آراء وأنباء



### السيد محسن الأمين

صرف العلامة السيد محسن الأمين رحمه الله وقته ونفيس عمره بالاشتغال بالعلم درساً وتحصيلاً ، وتملياً وتصنيفاً ، وطبعاً لمؤلفاته ومؤلفات بعض المتقدمين النافعة ، فنشر عشرات الكتب الدينية والتاريخية والأدبية ، وأنشأ بهجته العالية ومساعدته الحميدة المدرستين المحسنية واليوسفية للذكور والإناث في حي الأمين ، وألف بعض الكتب المدرسية في الأدب والدين .

— ٦١٩ —

كان الفقيه العظيم فقيهاً أصولياً ، عالماً مؤرخاً ، أديباً متفتناً ، باحثاً مجتهداً نظاراً . ومن أجل الكتب التي ألفها في العهد الأخير ، تاريخه الكبير الذي سماه « أعيان الشيعة » وقد نشر منه حتى الآن ( ٣٥ ) جزءاً . رتبته على حروف المعجم ، وقدم له مقدمة في مجلد حافل ، وهو الجزء الأول من هذا الكتاب وفيه كل ما للإمامية الاثني عشرية من أخبار وآثار . ومن أهم ما جاء فيه وأفضله ما كتبه المؤلف تحت عنوان ( نصيحة مهمة ) وجه فيها النصيح والتذكير إلى قومه العرب وإخوانه المسلمين صنيين وشيعيين دعاهم فيه إلى الكف عن معاداة بعضهم لبعض ، وعن القدح والتضليل ، والظن والتشهير ، وقد آن لهم أن يعلموا أن الذي فرق بينهم هو السياسة ، وأنها تقضي عليهم اليوم باتفاق الكلمة ، لاسيما وهم إخوان في الدين . وجاء في هذه النصيحة مانصه : وأنتم أيها الإخوان الشيعيون عليكم أن تعملوا بما أمركم به إمامكم إمام أهل البيت جعفر بن محمد الصادق من التحب إلى إخوانكم أهل السنة من زيارتهم ، والصلاة في جماعاتهم ، وتشجيع جنازتهم ، وعيادة مرضاهم ، وتجنب كل ما يوغر صدورهم ، حتى يقولوا : رحم الله جعفر بن محمد ما أحسن ما أدب به أصحابه ، ثم أوصى جميع المسلمين بماملة أبناء وطنهم بالرفق واللين ، واستشهد بخطاب الله لنبيه بقوله : « وجادلهم بالتي هي أحسن » وختم هذه الوصية القيمة بالدعاء لله سبحانه أن يوفق الجميع لما فيه الصلاح والإصلاح .

هذا وقد انتخب الفقيه الجليل عضواً في المجمع العلمي العربي في ٩ المحرم سنة ١٣٦١ هـ و ٢٦ كانون الثاني سنة ١٩٤٢ فحضر بعض جلساته ، واستمع لمحاضراته ، وكتب ما عهد إليه به في مجلته ، وما هي ذي ترجمته التي كتبها بخطه وكانت محفوظة في خزانة المجمع العلمي بين تراجم إخوانه الأعضاء :



### (نسبه)

هو محسن ابن الشريف السيد عبد الكريم ابن العلامة الفقيه السيد علي ابن السيد محمد الأمين ابن العلامة الفقيه المحدث السيد أبي الحسن موسى ابن العالم السيد حيدر ابن السيد احمد ابن السيد ابراهيم الحسيني الحلبي العاملي المنتهي نسبه الى الحسين ذي العبرة ابن زيد الشهيد ابن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

### (مولده)

ولد بقربة شقراء من جبل عامل التابعة قضاء مرجعيون من عمل بيروت سنة ١٢٨٤ هجرية وبها نشأ .

### (تحصيله)

قرأ أولاً في مدارس جبل عامل النحو والصرف وعلوم البلاغة والمنطق ومبادئ أصول الفقه ومبادئ الفقه وأصول الدين ودعي الى الامتحان في بيروت للاعفاء من الخدمة العسكرية خمس سنين فأجاب فيها .

ثم هاجر الى العراق سنة ١٣٠٨ هجرية لطلب العلم وتوطن النجف فأتم بها قراءة علمي الأصول على مشاهير علماء استدلالاً موجزاً ثم استدلالاً تاماً حتى بلغ رتبة الاجتهاد والفتوى ونال الشهادة بذلك من مشاهير المجتهدين وأجيز بالرواية وتخرج عليه في جبل عامل والنجف كثير من الطلاب هم من أفاضل العلماء . وبقي في النجف الى سنة ١٣١٩ هجرية ثم جاء الى دمشق فتوطنها ولم يزل الى اليوم وهو ١٢ جمادى الأولى سنة ١٣٦٢ هجرية وقد أشرف على الثمانين مجداً في المطالعة والتأليف والتصنيف ونشر العلم والتدريس والوعظ والتذكير والنسي في المصالح العامة بهمة لا تعرف الكلال ، معرضاً عما سوى ذلك من أمور الدنيا . تقول هذا تحديثاً بنعمه تعالى .

## ( أعماله الخيرية العامة )

أنشأ بدمشق سنة ١٣٢١ ( المدرسة الخيرية ) للذكور واشترى لها بمساعدة أهل الخير دارين فخمتين وتمكن من إيجاد أوقاف لها تزداد سنة فسنة . وأنشأ بعدها بمدة قليلة ( المدرسة البوصفية ) للإناث التي اشتراها وقام بنفقاتها المحسن الشهير الحاج يوسف يعضون وأسس بدمشق ( جمعية الاحسان ) لمساعدة الفقراء وهي أول جمعية اسلامية خيرية أسست بهذا البلد الطيب . ثم أسس ( جمعية الاهتمام بتعليم الفقراء والأيتام ) .

## ( انزواؤه )

هو في جل أوقاته منزوٍ في منزله مشغول بالمطالعة والتأليف والتصنيف وأجوبة المسائل معرض عن معاشره الناس وقد دعي مراراً لتولي أعلى المناصب الدينية في الدولة فأبى .

## ( تأليفه بين المسلمين )

وقد سعى جهده وبما في وسعه في كل فرصة وعند كل مناسبة في التأليف بين طوائف المسلمين حتى أزال كثيراً من سوء التفاهم وقرب بين القلوب وظهرت ثمرات جهوده في ذلك .

## ( أسفاره )

حج بيت الله الحرام وزار المدينة الطيبة سنة ١٣٣٠ - ١٣٢١ هجرية ثم حج ثانياً بيت الله الحرام سنة ١٣٤٠ - ١٣٤١ ومصر بمصر القاهرة في كلا السنتين . وزار المدينة المنورة بالقطار الحديدي من دمشق مرتين وزار بيت المقدس مرتين . وفي سنة ١٣٥٢ - ١٣٥٣ سافر الى العراق وايران وزار الأماكن المقدسة

وعرج على أكثر مدن المملكتين وأقام فيها وزار خزائنها الكبيرة والصغيرة واطلع على ما فيها من المؤلفات المخطوطة النادرة ونقل منها كثيراً لمؤلفاته واستنسخ عدة من الكتب المخطوطة النادرة النفيسة واشترى بعضها وبقي في هذه السفرة نحواً من ١١ شهراً لم يأل فيها جهداً في التفتيش والتنقيب وعمل فيها رحلة مطولة .  
( مؤلفاته )

ألف في أنواع العلوم ما يزيد على مائة وعشرين مجلداً أكثرها مطبوعة وبعضها طبع مراراً . وأكثرها لا ينقص عن ٥٠٠ صفحة وجملة منها لم يؤلف مثلها في معناها . ومن أهمها كتاب أعيان الشيعة الذي طبع منه حتى الآن ١٧ مجلداً أكثرها يزيد عن ٥٠٠ صفحة إلى ٨٠٠ صفحة ولم يتجاوز المطبوع حرف الجيم إلى جندب بن جنادة والباقي كل مواده جاهزة .

(١) السيرة المحمدية الحسيني العاملي

### الموفي في النحو الكوفي

كتب الأستاذ الشيخ محمد عبد الخالق عزيمة في الموفي وشرحه في مجلة الحج التي تصدر بمكة المكرمة تقديرات ومما قال في شرح كتاب الموفي : « وعرض لنا نصوصاً نحوية من كتب مختلفة ، شرحت غوامضها ، وأغنت قارئ الكتاب عن أن يتطلبها في مظانها » وقد وصف ( الموفي وشرحه ) بذلك أحسن وصف ، واكتفى — على ما يظهر — بمراجعته دون غيره في تعليقاته عليه ، وهذه هي :  
قال الأستاذ : « كم وددت أن يشير الأستاذ البيطار إلى المسائل الكثيرة التي اشتمل عليها ( الموفي ) وليست من اجتهاد الكوفيين وحدهم ، بل هي مسائل اتفق عليها جميع النحويين ٠٠٠ ( ثم قال ) وأكتفي بالإشارة إلى بعضها . أقول :  
(١) كانت وفاته في (٥) رجب سنة ١٣٧١ هـ . رحمه الله .

إني تبعت في ما كتبت قول المؤلف : «أما بعد فهذا كتاب «نحو» وضعته على مذهب الأئمة الكوفيين ومصطلحاتهم ، إذ وجدت بها أهميات ٠٠٠ الخ» فكان نظري مصروفًا الى ما قاله المؤلف ، والواقع أن في بعض المباحث التي أوردها اتفاقًا بين النحويين ، ولكن لا في كل ما تعبتنا به الأستاذ عزيمة من «المسائل الكثيرة التي اشتمل عليها الموفي» وقال عنها «واكتفى بالإشارة الى بعضها» . وأنا الآن أشير الى بعض ما أشار الأستاذ اليه ، وقال إنه متفق عليه ، (أي بين المذهبين البصري والكوفي) وأقتصر من ذلك كله على ما جاء في «الموفي» وتعليقاتي عليه ، من اختلاف الذي ذكرته (نافلاً لا قائلًا) وأغفل ذكره الأستاذ أو جملة موضع وفاق :

وأول ما أذكره مما ادعى الاتفاق عليه بين النحويين «مواضع تأنيث الفعل للفاعل ، وتقديم الفاعل على المفعول» ص ٢٢ هـ . مكتفياً بهذا القدر ، من دون نقد ولا نقل ولا تعليق ، أما أنا فإني نقلت الخلاف في كلتا المسألتين كما تجده في الموفي وشرحه ، فالخلاف في التقديم والتأخير عن (حاشية الصبان ٤٢/٢) واختلاف في تأنيث الفعل من (المنار على التوضيح ٢١١/١) انظر ص : ٢١ و ٢٣ عن الموفي بشرحه .

قال : «وتقديم المبتدأ وحذفه» نقلت عن الأنباري قوله : ذهب الكوفيون الى أنه لا يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه مفرداً كان أو جملة أي خلافاً للبصريين ، وأورد جميع كل من القولين على عادته . ص ٢٦ من الموفي . في بحث (الجرورات) في الموفي وشرحه (٤٩ - ٥٢) لم يشر الى اختلاف الوارد في ص ٥٠ - ٥١ ، واكتفى بالإشارة الى المتفق عليه في بحث (الإضافة) وهو في باب (الجرورات) ، وهل يكلف صاحب (الموفي) رحمه الله ، وهو يؤلف في (النحو الكوفي) أو شارحه ، أن ينص في كل باب من أبواب الكتاب على كل ما اتفقوا عليه أو اختلفوا فيه ؟ حسب المؤلف أن تكون رسالته في النحو الكوفي ، ومصطلحات



أهله في أبوابه دون النظر في الجزئيات المتفق عليها أو المختلف فيها ، إذ أن هذا عمل آخر يحتاج الى كتاب مستقل .

قال الأستاذ : نداء ما فيه « ال » ص ٦٦ ( قلت ) فيه خلاف أوردت .  
شواهد في نفس الصفحة .

قال : الاستثناء المتصل والمنقطع والمفترغ ، قلت هي قضايا يرهانها معها كما يقول المناطق ، وانظر الخلاف فيها معزواً الى أهله في ( ص ٧١ - ٧٣ ) .  
قال : كثير من شروط عمل المصدر محل اتفاق . قلت : قد أشرنا الى ما فيه خلاف ، وعلم منه الاتفاق فيما عداه .

قال : فصل الضمير ومجىء نون الوقاية في بعض الأسماء ، قلت : ذكرنا الخلاف في فصل الضمير ( ص ٩٤ - ٩٥ ) .

قال : نواصب المضارع ص ١١٤ قلت : ذكرنا الخلاف في نفس الصفحة ، والمذاهب في ص ١١٥ .

قال : حروف الجر واستعمالها : ١٣٦ - ١٤٤ قلت : باسمجان الله بل هي مملوءة بالخلاف ، وقد ذكرناه وعزونا ( انظر ص ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ) فكيف أغفل الأستاذ ذكره ؟

قال : مواضع كسر همزة إن : وجواز الوجهين ص ١٤٨ . الخ قلت : بل هي ملأى بالخلاف أيضاً ، وانظره في بعض مواضع الكسر ، وفي إعمالها إذا خفت من الثقل ، وفي مدخولها أيضاً ( ١٤٨ - ١٥١ ) .

قال : « يشترط البصريون لزيادة : مين شرطين : ١ - أن يسبقها نفي أو شبهه ٢ - تكبير مجرورها ، ولم يشترط الأخفش الشرطين . أما الكوفيون ، فلم يشترطوا الشرط الأول ، واشترطوا ( فقط ) تكبير مجرورها ( من حق فقط أن تؤخر ، وأن يقال : واشترطوا تأخير مجرورها فقط ، كما هو ظاهر ) مستدلين بقول العرب : قد كان من مطر ، قلت : جاء في الرضي ( ٣٠ / ٣ )

م ( ١٠ )

مانصه : والكوفيون والأخفش لا يشترطون ذلك استدلالاً بقوله تعالى : « يقفر لكم من ذنوبكم » فمن في حيز الإيجاب وهي داخلة على المعرفة « اهـ ولم نعد في حاجة الى نقل تعليقه الأستاذ في هذه المسألة على الموفي وشرحه ، من بعد أن نقلنا كلام الرضي بنصه ، وهو مما لم يتيسر له الاطلاع عليه . قال : وأعتقد أن ذكر اسم المفعول هنا ( ص ١٨ ) سبق قلم ، فهو إنما يرفع نائب الفاعل . قلت : إنما فسرت شبه الفعل ، ومنه اسم المفعول الذي يرفع نائب الفاعل ، وقد جاء تحت عنوان ( المرفوعات ) وأما أبو الحسن ( الأخفش الأوسط ) فهو تلميذ سيويوه ، وشيخه هو أبو الخطاب ( الأخفش الأكبر ) كما قال الأستاذ ، ونحن نقلنا عبارة الصبان في حاشيته ( ٢١٥/١ ) ونصها : والأخافثة ثلاثة ، لكن المراد عند الإطلاق : أبو الحسن شيخ سيويوه ، قاله الشيخ محبي .

والظاهر أن الأستاذ قد أملى ما أملاه من ذاكرته وحفظه ، إذ لم نر له عزواً الى صفحة أو جزء من كتاب بعينه ، وعلى كل فله منا أعطر الشكر .

محمد بهجة البطار

سنة ١٤٢٠

### أوهام في قانون ابن سينا

طالمت أكثر من مرة قانون ابن سينا فوجدت طبعة مصر أصح من طبعة رومة وطبعات الهند ، ومع ذلك فقد عثرت في الطبعة المصرية على أغلاط كثيرة ، منها أغلاط مطبعية لا تنسح هذه المقالة لذكرها كلها . أذكر منها على سبيل المثال : مضائلة : صحيحها متضائلة ( الجزء الأول ، الصفحة ١٨ ، السطر ٤ ) . تسميها عصبانية المرائي : صحيحها نسميها عصبانية المرائي ( ١٠٤٢٠ ) . فللجذب المطاول : الليف المطاول ( ٨٤٢٣ ، ١ ) . تنجذب : تنعذب ( ٢٩ ، ١٤٣١ ) . أن للرأس حركات خاصة : خاصة ( ٣٢٤٤٢٦١ ) .

هكذا كل ما أذكره من الجزء الأول . طروخا بطير : طروخا بطير (ص ٥١ من ١٣) .  
 نبت : نبت ( ٢٢٦٥٢ ) . التوانه : التوانه ( ٢٥٦٥٥ ) . مسقها : مسقها  
 ( ٦٦٦٣ ) . الاسليم : الأسليم ( ١٥٦٦٥ ) . اطروقيا : اطروقيا ( ٢٩٦١٧ ) .  
 خادمة : الجاذبة ( ١٢٦٦٨ ) . افراد حمرة الخد : افراط ( ٢٥٦٧٣ ) .  
 انجذاب الأظفار : انجذاب ( ٢٩٦٧٣ ) . نزعان : نوعات ( ١٥٦٧٤ ) .  
 المتشابهة الأجزاء : غير متشابهة الأجزاء ( ٢١٦٧٤ ) . عدم القرحة : عدم  
 القرحة ( ١٤٧٥ ) . صمي جزا : جزا ( ٣٢٦٧٥ ) . الأرنية : الأريسة  
 ( ٥٦٧٧ ) . التهبج : التهبج ( ٢٦٦٧٧ ) والتهبج Boursouflure انما وردت  
 غلطاً فيها وكتبت تهبج .... الخ .

ومنها أغلاط أصلية أكثرها في الكلمات الأعجمية من يونانية وغيرها . اذكر  
 منها على سبيل المثال أيضاً من الجزء الأول فقط : بقرانيطس : بقرانيطس  
 ( ١٩ : ٧٩ ) . كالفان : كالصنان ( ١٠٦٧٨ ) . القرحة السيروتية :  
 الخيرونية ( ٢٧٦٧٨ ) . الدرباج : الزيرباج ( ٢٧٦١٦٨ ) . الاسفيداج :  
 الاسفيداج ( ٢٢٦١٧٠ ) . ديانيطس : ذيانيطس ( ٢٨٦٢٤١ ) . فرساموس :  
 فرباتيسوس ( ٣٦٢٤٢ ) . اغلاجون : اغلوخون Agallochum ( ٢٦٦٢٥١ ) .  
 طمعمون : طقيقون Toxicon ( ٣٢٦٢٥٢ ) . ابو حلسا : انخسا Anchusa  
 ( ٢٧٦٢٦٠ ) . اميوس : اموس Issos ( ٢٧٦٢٦٢ ) . اندروصارون :  
 اندروسامون Androseum ( ٢١٦٢٦٣ ) . الطليون : القاوون ( ١٨٦٣٧٠ ) .  
 ابلقطنون : ابلقطنون ( ١٦٦٢٨٤ ) . البلاد التي يقال لها قارتا : قاريا  
 ( ٣٠٦٢٨٥ ) . كاليافيا : كالثافيا ( ٢٣٦٢٩٠ ) . الكر كند : الكنكرزد  
 ( ٢٦٦٣١٩ ) (١) . يرمان : نرمامن ( ٢٦٢٢٣ ) . طرخايشا :

(١) وهو صنع نبات المكروب .

طراغانثا Traganthe ( ٣٠٦٢٣١ ) • نباتانيون : نباتانيون ( ٢٧٦٢٣٤ ) •  
 فرمي اعربا : قرمي آغريا ( ١٦٦٣٤٦ ) • انتصاب النفث : النفس  
 ( ١٣٤٣٥٢ ) ٠٠٠ الخ

ومن الأغلاط ، ذكره في حرف الفاء الـ ( الققلامينوس ) Cyclaminus  
 وهو بقافين • فكان يجب ذكره في حرف القاف • وهذا الغلط بدل صراحة  
 على أن ابن سينا كان يجهل اليونانية •

عدا ذلك ، وجدت أوهاما واقعة في التأليف نفسه • ذكر في ( ٢٦٦٢٥١٤١ )  
 الاغلاخون وصحيحه : الاغلاخون Agallochum وقال عنه : هو خشب يؤتى  
 به من بلاد الهند وبلاد الغرب ( كذا : العرب ) فيه صلابة ، منقط طيب الرائحة  
 له قشر كأنه الجلد موشى بألوان مختلفة اذا مضغ أو تمضمض بطبيعته ، يطيب النكهة •  
 وفي ( ٣٢٦٢٥٤٦١ ) ذكر ( اغالوجي ) ولا شك في انه الاغلاخون المار  
 الذكر ، فقد قال عنه : خشب هندي او اعراي عطري الرائحة موشى الجلد  
 يدخل في العطر ٠٠٠ المضمضة بطبيعته يطيب النكهة •

مثال آخر : جاء في ( ١٥٤٤٠٣٤١ ) ( غالين ) ( كذا : صحيحه غالين  
 Galium ) قال : ومن الناس من يسميه غالين وقوم يسمونه عالاريون  
 واشتقاق الاسمين جميعا من اجساد اللبن لأنه يجمد كالأنفحة ٠٠٠٠ طيب  
 الرائحة ٠٠٠ زهره اذا تضمد به تنفع من انفجار الدم ٠٠٠ وورقه ينفع من  
 حرق النار •

وفي ص ( ١٨٤٤٦٩ ) ( غالين ) ( وهو الصحيح ) دواء طيب الرائحة مجفف  
 يجمد اللبن ٠٠٠٠ ينفع من انفجار الدم • مع حدة يسيرة • زهره نافع لانفجار  
 الدم • قد يظن ان هذا الدواء يشفي من حرق ( النار ) •  
 ووم آخر ( في حور رومي ) ( ص ٣٢١ من عين الجزء الأول ) : ( هو الاملاء



الصحيح) لكن ورد في ٢٨٤ (جوز رومي) وهذا غلط . وفي ص ٣٢٣ عاد الى الصواب فكتب (حور) .

لا أدري كيف وقعت هذه الأوهام . هل نقل أبو علي من كتب شتى وجدها في خزانة كتب الملك الساماني ، وكان في بعضها تحريف ، نقل على عجل ولم يفتن له ؟ أم دس بعده في متن قانونه بعض الفضوليين هذه الصور المحرفة ظناً منهم انها صحيحة وانها فاتت ابن صينا ؟ اني لا أنفي الاحتمال الثاني ولكني أرجح الاحتمال الأول اذا لم يكن في كل هذه الأوهام فني بعضها .  
اقتصرت في هذه المجالة على ذكر بعض الأوهام الواردة في الجزء الأول من القانون لا كلها ، ولم أتعرض لأوهام الجزئين الآخرين .

(الموصل) الدكتور راور الجلبي



### آراء وتعليقات

#### (المشاركة في المجلة لا الاشتراك)

١- أرى أن 'بترك قول ادارة المجلة « قيمة الاشتراك السنوي » ويكتب مكانه « قيمة المشاركة السنوية » لأن « الاشتراك » لا يكون الا من أكثر من اثنين والمشاركة تكون من واحد توحدت أجزاؤه أو تعدد ، وقد نبيت على هذا الوم قبل سنين فأخذت أكثر المجلات والجرائد تضع « المشاركة » مكان « الاشتراك » وصار أكثر الكتاب يقولون « شارك فلان يشارك » بدلاً من « اشترك » فلات ، وبما يوضح قبح استعمال « اشترك واشتراك » للواحد أنك لا تقول « احترب فلان ولا اقتتل ولا اقنسم » وتسكت ، بل عليك أن تقول « احترب فلان وفلان واقتتلا واقسما » . ويؤيد ما قلناه قولهم « كان

فلان مشاركاً في علم كذا وفن كذا» وهو أشهر من أن يؤتى له بنصوص ، قال ابن السند البطليوسي «يربى أن الكاتب ينبغي أن تكون له مشاركة في جميع المعارف»<sup>(١)</sup> .

### (البواقيل لا البراميل)

٢ - وجاء في المجلة<sup>(٢)</sup> قول أبي نواس :

فمن رأى النيل رأي العين عن كذب فما أرى النيل إلا في البراميل  
والرواية المعروفة «البواقيل» قال الشريف المرتضى ناقلاً «وقف أبو نواس  
بمصر على النيل فرأى رجلاً قد أخذ التماسيح فقال :

أضمرت للنيل هجراناً ومقلبة مذ قيل لي إنما التماسيح في النيل  
فمن رأى النيل رأي العين عن كذب فما أرى النيل إلا في البواقيل  
قال الصولي : والبواقيل سفن صفار . . . وقد أخطأ الصولي في تفسير بيت  
أبي نواس بأن البواقيل سفن صفار لأن البواقيل جمع بوقال وهو آلة على هيئة  
الكوز معروفة تعمل من الزجاج وغيره ، وهذا مثل قول ابن الرومي :

أمر به في الكوز مرء الجباب

وإنما أراد : إنني لا أمر بماء النيل إلا إذا أردت شربه في كوز أو بوقال  
وما أشبه ذلك . وأظن أنه استمر عليه الوهم من جهة قوله «فما أرى النيل»  
وصرف ذلك إلى أنه أراد النيل على الحقيقة ، وإنما أراد ماء النيل . وما علمت  
أن السفن الصفار يقال لها «بواقيل» إلا من قول الصولي هذا . ولو كانت  
ما ذكره صحيحاً من أن ذلك اسم لصفار النفن لكان بيت أبي نواس بما ذكرناه  
أشبه وأليق وأدخل في معنى الشعر . وكيف بدخل شبهة في ذلك مع قوله

(١) الانتصاب في شرح أدب الكتاب «ص ١٤» طبعة للطبعة الأدبية ببيروت

سنة ١٩٠١ م

(٢) المجلد «٢٦ ج ٢ ص ١٦٣» .

«فن رأى النيل رأي العين من كتب» ، ومن رأى النيل في السفن فقد  
 رآه من كتب، ومن رأى ماءه في الآنية على بعد فلا يكون رائيه من كتب»<sup>(١)</sup> .  
 وقال ابن قتيبة «والنيل يستقبل الشمال وينضب في وقت زيادة الأودية  
 ويزيد في وقت نقصانها وزيادة أوله وآخره معها ولا تكون التماسيح الا فيه»  
 قال الشاعر : أضمرت ٠٠٠ في البواقي<sup>(٢)</sup> قال ناشر الكتاب «البواقي  
 — كما في معجم البلدان ( ج ٤ ص ٨٦٨ طبع أوروبا ) — : كيزان يشرب منها  
 أهل مصر . وقد روى في شفاء الغليل وزهر الآداب ( ج ٢ ص ١٨٠ طبع  
 المطبعة الرحمانية ) : البراقيل بالراء وفسر اخفاجي بأنه جمع يرقال وقال : إنه  
 كوز من الزجاج ولم نجد هذين البيتين في ديوان ابي نواس وهو الذي نسب  
 له البيتان » .

فشارح عيون الأخبار لم يطلع على البيتين في أمالي المرتضى ولا على شرحه  
 وقده الواضحين .

### ( تكلم عليه لا عنه )

٣ — وجاء في المجلة<sup>(٣)</sup> « فتكلموا عن حماسة الخالدين » والصواب « على  
 حماسة » ويؤيد قولنا ما قاله الخالديان أنفسهما في « ص ١٨٦ » وهو « وتكلم  
 على المعاني المخترعة ، والمتبعة ولا نجتمع نظائر البيت في مكان واحد » .  
 ( اتفق هو وكذا ) .

٤ — وفي ص ١٨٩ « والتي تنفق وطبيعة صير الشعر العربي » . والفصح  
 « تنفق هي وطبيعة » لأن عطف الاسم الظاهر على الضمير المرفوع المستتر

- 
- (١) أمالي المرتضى « ج ٣ ص ٥٢ ، ٥٤ » .  
 (٢) عيون الأخبار « ج ٣ ص ٢٧٩ » .  
 (٣) مج ٢٦ ج ٢ ص ١٨٤ . وقد كرر ذلك في ص ١٨٩ : « بدأ المؤلفون  
 بطول الكلام عن المعاني » والصواب « على المعاني » .

أو المتصل يستلزم الفصل بالضمير المنفصل أو ما يقوم مقامه من حرف أو اسم أو ظرف .

### ( فلان مفتن لا متقن )

• — وورد في ص ٢٩٦ « فقد جاء في بعض كلام الدكتور الركابي : « شاعر مفتن » والذي رأته في القاموس المحيط للفيروزآبادي « افن » ولم أر « افن » ومعنى « افن » أخذ في فنون القول فهل أراد الدكتور « افن » فأضاف الطابع نقطة الى النون فصارت « افن » أم إنه يجد وجهاً لاستعماله ؟ قلت : لا شك في أن الذي رآه هذا الفاضل في قاموس الفيروزآبادي إنما هو « تصحيف » وأن الصحيح ما استعمله الدكتور الركابي من الافتنان . « وافن الرجل في حديثه وفي خطبته » إذا جاء بالأفانين وهو مثل « اشتق » قال أبو ذؤيب : « فافن بعد تمام الورد ناحية »

وقال الزمخشري في أساس البلاغة « وافن في الحديث وتفن فيه . . . وافن في جريه » . وقال أمين الدولة محمد بن محمد العلوي الأقطبي « يقال رجل مفتن أي يأخذ في كل ناحية وطريق من العلم وهو مدح فإذا ذموه قالوا فلان متفن أي مختلف الأمر ، مأخوذ من الفتن وهو الفتن وذلك أن الفطنة تذهب مذاهب مختلفة على غير استقامة » <sup>(١)</sup> ، والنصوص على ذلك متوفرة ومتوافرة .

يلبع : ( بغداد ) الدكتور مصطفى جواد



(١) المجموع اللطيف ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس « ٣٣٨٨ ور ١٨٧ » .



# الفهرس العام

## لمواد المجلد السابع والعشرين

منسوقاً على حروف الهجاء

- |                                           |                                           |
|-------------------------------------------|-------------------------------------------|
| أشباح ورموز ( كتاب ) ٤٥٩                  | آراء وأبناء ١٣٨ و ٣٠٩ و ٤٦٩ و ٦١٩         |
| أعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٧١ هـ | آراء وأحداث في القومية العربية ( كتاب )   |
| و ١٩٥٢ م ص ١٣٨                            | ١٠٤                                       |
| أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون ١٤٠   | آراء وتعليقات ٦٢٩                         |
| الوان شتى ( كتاب ) ١٣٦                    | الأب لويس شينغو ١٦١                       |
| امواج الروح ( كتاب ) ٢٧٤                  | ابن نيمية = شيخ الاسلام ابن نيمية         |
| أوهام في قانون ابن سينا ٦٢٦               | ابوالفرج الاصبهاني و كتابه الاغانى        |
| بصائر جغرافية ٦٠٦                         | ( كتاب ) ٢٧٩                              |
| بلدانية فلسطين العربية ( كتاب ) ٤٦٥       | احمد فحي زغلول ٤٨١                        |
| التأليف في الملوك ٥٢                      | الأحمدان المصريان القديمان ٣٣٧            |
| تاريخ افرنج ( كتاب ) ٤٤٢                  | الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ٤٧٢ |
| تاريخ الحافظ ابن عساكر ( كتاب ) ٤٤٦       | أدب الاملاء والاستملاء ( كتاب ) ٤٤٤       |
| تاريخ الحرم المقدسي ( كتاب ) ٦١٣          | ارجوزة في محاسن دمشق ٢٢٥                  |
| تاريخ فكرة إعجاز القرآن ٢٤٠ و ٤١٨         | استدراك ١٥٧ و ٤٥١ و ٥٧٠                   |
| و ٥٧١                                     | الأمره في الشرع الاسلامي                  |
| التبهيات لابن ابي العون ( كتاب ) ١١٨      | ( كتاب ) ٤٤٠                              |
| تسريع العمل ( كتاب ) ٤٦٢                  | الاسلام بين السنة والشيعة ( كتاب ) ٢٩٠    |

- التشريع البناني ١٩٨  
تصحيح نهاية الأرب (جزؤه الخامس  
عشر) ٢٢  
التعريف والنقد ١٠٤ و ٢٦٤ و ٤٤٠ و ٤٩٣  
تعليق ٤٧٤  
تهذيب الايضاح (كتاب) ١٢٣  
توهم الحرف الأصلي زائداً ٤٨٦  
ثنائية الأب مرصحي ٣١٠  
ثقافة المند (كتاب) ٢٧١  
حول ديوان الوأواء الدمشقي ١٤٩  
حول رد العامي الى الفصح ٤٧٦  
حول ما كتبه الأستاذ الجاصر ٣١٢  
خزائن الكتب العربية في اخافقين  
(كتاب) ٢٢٠  
دراسة الأغاني (كتاب) ٢٧٤  
دراسة العقد الفريد ١٦٥  
دليل الآثار اليونانية الرومانية في متحف  
دمشق (كتاب باللغة الفرنسية) ٤٦٢  
ديوان ابن حيوس (كتاب) ١٤٢  
ديوان الوأواء الدمشقي (كتاب) ٣١٦  
ذكرى ابي التناء محمود الألومي ٢٠٧  
الذيل على طبقات الحنابلة (كتاب) ٤٥٣  
رأس شجرة او اوغاريت ٣٥٣  
الرووس (كتاب) ٥٩٧  
رد العامي الى الفصح (كتاب) ٢٨٣  
رواد النهضة العربية (كتاب) ٥٩٩  
الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة  
(كتاب) ٤٥٢  
زوابع (كتاب) ٥٩٣  
سفر خالد بن الوليد من العراق الى الشام  
٣٩٤ و ٤٤٢  
سلسلة مطبوعات دارالعروبة في باكستان  
(رسائل) ٢٩٣  
سوانح ٥٠٤  
شرح ديوان الحماسة (كتاب) ٢٨١  
شعر كمب بن زهير (كتاب) ٢٨٩  
شيخ الاسلام ابن تيمية ١٧٥ و ٤٠٨ و ٥٥٩  
طلائع الثنائية في القديم ٢١٦  
علمان عربي وعربي ٣  
عبد الله بن المعتز (كتاب) ١١٣  
على المحك (كتاب) ٥٩٧  
العلوم والآداب والفنون على عهدالموحدين  
(كتاب) ٢٦٤  
فهرس الأجزاء الأربعة للمجلد السابع  
والعشرين ١٥٨ و ٣١٨ و ٤٧٨ و ٦٣٨  
فهرس الأعلام لكتاب مقالات الخلد  
السابع والعشرين ٦٣٦

- الفهرس العام لمواد المجلد السابع والعشرين  
٦٣٣
- قصة جزيرة قوصرة العربية ٣٨٣ و ٥٣٠  
القطن واللغة العربية ٣٦١  
الكتابات الصفوية في المتحف البريطاني  
ومتحف دمشق ( كتاب ) ٦١٢  
كتب مصورة في خزانة المجمع العلمي  
العربي ٤٣٤ و ٥٨٦  
لكل زهرة عبير ( كتاب ) ٢٨٦  
لحة تاريخية في اللغة البرتغالية وآدابها ٤٩٣  
لمن ؟ ( كتاب ) ٦٠١  
مباحث في فن الطبع عند العرب ( كتاب )  
٢٧٣  
مجددون ومجترون ( كتاب ) ٥٩٥  
مجلة الحوليات الاثرية السورية ( كتاب )  
٤٦٤  
مجموعة غرفة تجارة حلب ( كتاب ) ٣٠٧  
مجموعة الكتابات السامية ( كتاب ) ٦١١  
مجموعة مؤلفات ( كتب ) ٦١٤  
المحاضرات العامة ( كتاب ) ١١١  
محنة في الفردوس كشمير ( كتاب ) ٢٦٧  
السيد محسن الأمين ٦١٩  
مختارات من الأدب العالمي الحضرمي  
( كتاب ) ١٢٠  
مختصر جمهرة النسب ٤١
- مذكرات البارودي ( كتاب ) ٤٦٠  
مجموع ما استعجم ٥٢٠  
مجموعات ( كتاب ) ١٢٢  
مقطعات من كتاب الأشباه والنظائر  
للخالدين ٦١  
مقدمة المقد الفريد ١٧  
مقدمة المرزوقي في شرحه لحاسة ابي تمام ٧٥  
ملاحظات ١٥٥  
من الأدب ( كتاب ) ٢٨٨  
من رسالة للأمر شكيب أرسلان ٣٠٩  
من صميم الحياة ( كتاب ) ٦١٥  
منحة دينية تمثل الرسول ( كتاب ) ١٣٢  
من هدى القرآن ( كتاب ) ٦١٠  
المهرجان الألفي لذكرى مولد ابن سينا ٤٦٩  
الموسوعة الاجتماعية ( كتاب ) ١٣٤  
الموفي في النحو الكوفي ( رد على نقد ) ٦٢٣  
= = = = ( كتاب ) ٦١٧  
نظرة عابرة في «ذيل طبقات الخنابلة» ١٥٢  
نظرية الخير عند ابن سينا ٣٢١  
نقض المنطق ( كتاب ) ٢٩٧  
نهضة اللغة العربية ٣٦٩  
هداية القرآن لبني الانسان ( كتاب ) ١١٥  
هدية للظاهرة ٣١٧  
الوجيز في الحقوق الادارية ( كتاب ) ١٠٦  
وضع الاقتصاد العربي ( كتاب ) ٦١٥

# فهرس الأعلام

## لكتاب مقالات المجلد السابع والمشرين

### منسوقاً على حروف الهجاء

|                                   |                                       |
|-----------------------------------|---------------------------------------|
| أحمد رضا ٤٧٦                      | صلاح الدين النجد ٢٢٥                  |
| جعفر الحسني ١٣٢ و ٣٥٣ و ٤٦٢ و ٤٦٤ | طاهر الجزائري ٥٢                      |
| و ٤٦٥ و ٦١١ و ٦١٢ و ٦١٣           | طه الهاشمي ٣٩٤ و ٥٤٢                  |
| جميل صليبا ٣٢١ و ٤٥٩ و ٤٦٠ و ٤٦٩  | عارف النكدي ١٠٤ و ١٠٦ و ١١١           |
| جورج ليان ٤٩٣                     | و ١١٣ و ١١٥ و ١٥٧ و ٢٦٤ و ٢٦٧         |
| حسن حسني عبد الوهاب ٣٨٣ و ٤٧٤     | و ٢٧٠ و ٢٧١ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٤٤٠         |
| و ٥٣٠                             | و ٤٤٢ و ٤٤٤                           |
| حمد الجاسر ٤١ و ١٤٢ و ٤٤٦ و ٥٢٠   | عباس المزراوي ٣٠٧                     |
| حكمة هاشم ٢٧٤                     | عبد الفتاح ابو غدة ١٥٢                |
| داود الجلي ٦٢٦                    | عبد القادر المغربي ٢٧ و ١٢٠ و ١٢٢     |
| سامي الدهان ١٣٤ و ١٣٦ و ١٤٩       | و ٢٩٠ و ٣١٠ و ٣٦١ و ٤٥٢ و ٤٨٦         |
| سليمان ظاهر ٣١٦                   | و ٦١٤ و ٦١٥                           |
| شفيق جبري ١٧ و ١١٨ و ١٦٥ و ٢٧٩    | عبد الله كنون ١٥٥                     |
| و ٢٨١ و ٢٨٣ و ٢٨٦ و ٢٨٨ و ٢٨٩     | السيد محسن الأمين الحسيني العاملي ٦١٩ |
| شكري فيصل ٧٥                      | محمد بهجة البيطار ١٢٣ و ١٧٥ و ٢٩٣     |
| شكيب أرسلان ٣٠٩                   | و ٢٩٧ و ٤٠٨ و ٤٥٣ و ٥٥٩               |
| صبي محصاني ١٩٨                    | و ٥٧٠ و ٦٠٦ و ٦١٠ و ٦٢٣               |





## فهرس الجزء الرابع من المجلد السابع والمشرن

صفحة

|     |                                            |                      |
|-----|--------------------------------------------|----------------------|
| ٤٨١ | احمد قسح زغلول                             | للأستاذ محمد كرد علي |
| ٤٨٦ | توم الحرف الأصلي زاندا                     | » عبد القادر المشرن  |
| ٤٩٣ | لغة قاريغة في اللغة البرتغالية وآدابها     | » جورج لمان          |
| ٥٠٤ | سوانح                                      | » محمد كرد علي       |
| ٥٢٠ | مجمع ما استجمع                             | » حمد الجاسر         |
| ٥٣٠ | قصة جزيرة قوسرة المربية (٢)                | » حسن قسح عبد الوهاب |
| ٥٤٢ | سفر خالد بن الوليد من المراق ال الشام (٢)  | » طه الهاشمي         |
| ٥٥٩ | شيخ الاسلام ابن تيبة (٣)                   | » محمد بهجة اليطار   |
| ٥٧٠ | استدراك                                    | » » » »              |
| ٥٧١ | تاريخ فكرة إعجاز القرآن (٣)                | » نعيم الحمصي        |
| ٥٨٧ | كتب مصورة في خزانة المجمع الطلي المربي (٢) |                      |

### التعريف والنقد

|           |                                                              |                          |
|-----------|--------------------------------------------------------------|--------------------------|
| ٥٩٣ - ٥٩٥ | زوايع - مجددون ومجتررون - على المحك -                        | للدكتور منير العصبلي     |
| ٥٩٧ - ٥٩٧ | الرؤوس - رواد النهضة الحديثة -                               |                          |
| ٥٩٩ - ٦٠١ | لمن ؟                                                        |                          |
| ٦٠٦ - ٦١٠ | بصائر جغرافية - من هدي القرآن                                | للأستاذ محمد بهجة اليطار |
| ٦١١ - ٦١٢ | مجموعة الكتابات السامية - الكتابات                           | للأمير جعفر الحني        |
| ٦١٣       | الصفوية في المتحف البريطاني ومتحف دمشق - تاريخ الحرم المقدسي |                          |
| ٦١٤ - ٦١٥ | مجموعة مؤلفات - من صميم الحياة                               |                          |
| ٦١٥       | وضع الاقتصاد المربي                                          | » منير الشريف            |
| ٦١٧       | كتاب الموفي في النحو الكوفي                                  | » محمد عبد الحائق ضيفة   |

### آراء وأبناء

|     |                                                 |                                  |
|-----|-------------------------------------------------|----------------------------------|
| ٦١٩ | السيد عمن الأمين                                | تسديد عمن الأمين الحسيني العاملي |
| ٦٢٣ | الموفي في النحو الكوفي ( رد على نقد )           | للأستاذ محمد بهجة اليطار         |
| ٦٢٦ | أوهام في قانون ابن سينا                         | للدكتور داود الجلي               |
| ٦٢٩ | آراء وتعليقات                                   | » مصطفى جراد                     |
| ٦٣٣ | الفهرس العام لمواد المجلد السابع والمشرن        |                                  |
| ٦٣٦ | فهرس الأعلام لكتاب مقالات المجلد السابع والمشرن |                                  |

## مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

- ١ - محاضرات المجمع العلمي العربي ( الجزء الأول )
- ٢ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسن التنوخي ( الجزء الثاني ) بتحقيق  
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٣ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسن التنوخي ( الجزء الثامن ) بتحقيق  
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٤ - رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
- ٥ - المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدم له الأستاذ خليل مردم بك
- ٦ - تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٧ - المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسن التنوخي : بتحقيق  
الأستاذ محمد كرد علي
- ٨ - كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٩ - غوطة دمشق ( الطبعة الأولى والثانية ) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٠ - كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١١ - ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي .  
قدم له الأستاذ خليل مردم بك
- ١٢ - ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٣ - ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع نكلته الأستاذ خليل مردم بك
- ١٤ - ديوان ابن حيوس ( الجزء الأول ) بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك .
- ١٥ - = = = = ( الجزء الثاني ) = = = = .
- ١٦ - ديوان الواواء النمشي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
- ١٧ - تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ( المجلد الأول ) بتحقيق الأستاذ  
صلاح الدين المنجد .
- ١٨ - عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي

- ١٩ - الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي ( الجزء الأول ) :  
بتحقيق الأمير جعفر الحسني
- ٢٠ - الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي ( الجزء الثاني ) :  
بتحقيق الأمير جعفر الحسني .
- ٢١ - الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
- ٢٢ - ( الجزء الثاني ) = = = =
- ٢٣ - الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنفراوي الاستانبولي : شرح  
وتعليق الأستاذ محمد بهجة البيطار .
- ٢٤ - طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن  
يوسف بن رسول: بتحقيق المنشرق السويدي الأستاذ ك. و. صترستين
- ٢٥ - فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربيعي : بتحقيق الأستاذ  
صلاح الدين النجد
- ٢٦ - تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
- ٢٧ - التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب باشا
- ٢٨ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ( قسم التاريخ ) وضعه  
الدكتور يوسف المش
- ٢٩ - المتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربيعي
- ٣٠ - تكملة إصلاح ما تفلط به العامة للجواليقي
- ٣١ - بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنيلي الحلبي
- ٣٢ - الرسالة النباتية : للأمير مصطفى الشهابي
- ٣٣ - المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم
- ٣٤ - الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ أبي عبد الله الزنجاني

تباع مطبوعات المجمع العلمي العربي  
في المكتبة العربية لأصحابها عيد اخوان بدمشق